صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ٤٢٩٩٢

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

تصدر كل أسبوعين مؤقتاً

بدل الاشتراك
مصر
٣٠ عن سنة كاملة
٢٠ عن ستة شهور
٦٠ عن سنة في الخارج

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العدد الثالث — القاهرة في يوم الأربعاء ٢٠ شوال ١٣٥١ — ١٥ فبراير ١٩٣٣ — السنة الأولى

بين السوامر والصحف

الرسالة وقرائها :

خرجت الرسالة الى قرائها على الحال التي سمحت بها صعوبة البدء وأثالة العمل . فاستقبلوها استقبالا ماوقع في الظن ولا تعلق به الأمل . ولا يزال البريد يحمل الينا كل يوم رسائل الاصدقاء والقراء تفيض بحسن الظن ، وجميل العطف ، وكرم التعضيد ، ومحض النصيحة . ومن هذه الرسائل الكريمة ما يستحق النشر لدقة ملاحظته ، أو رقة أدبه ، أو سداد رأيه : ولكن دورانه على الثناء والتقريظ يجعل في نشره انتهاما لخلق الرسالة .

وقلما تجد انبل عاطفة من رجل يعنى بعملك لذاته ، ثم يحمل نفسه ووقته جهد الكتابة اليك صفحات في تأييده وتقديره ، ثم لا يريد بعد ذلك ان يبوح لك باسمه !!

قال هؤلاء تقدم الرسالة بموفور الشكر على مايرجون لها من خير ، وما ينيطون بها من ثقة ، وتسأل الله أن يؤكد لها أسباب التوفيق حتى تتحقق الظنون وتصدق الأماني .

آراء القراء

من الكرام الكاتبين من يطلب الى الرسالة المزيد في التعمق والافاضة ، ومن يرغب في شيء من الفكاهة والبساطة ، ورأي الأولين ان تقصر على أدب الخاصة ، ورأي الآخرين أن تتدرج ذوق العامة ، والرسالة ترجوان توفق بين الرأيين ، بأن تتخذ طريقها بين بين ، ثم تنشر الحين بعد الحين اعدادا خاصة بما تجمع لديها من البحوث المستفيضة والدراسات العميقة والقصص الضافية .

لأفاضل قرائها :

للاستاذ محمد بك مسعود أثر جميل على الثقافة العامة منذ طويل .

فهرس العدد

ص	
٣	بين السوامر والصحف
٥	العلم والأدب للاستاذ احمد أمين
٧	حظ الأديب في مصر للاستاذ عبد العزيز البشري
٩	أثر الثقافة العربية في قلم والعالم الزيات
١٢	فلسفة شوبنهور للاستاذ زكي نجيب محمود
١٤	لماذا ترجمت فرتر للزيات
١٦	كهف حلق الشمس للاستاذ عبد الحميد سماحه
١٧	العوامل المؤثرة في الأدب
١٩	تطور في الجهاد للاستاذ جميل صدقي الزهاوي
١٩	مزايا الحجاب للدكتور محمد عوض
٢٠	انشاد لعلي محمود طه المهندس
٢١	الأدب الفارسي والأدب العربي للدكتور عزام
٢٣	الخلاص للاستاذ عبد المسيح وزير
٢٤	القرية المهجورة للبشري
٢٥	نفسية ضالة للاستاذ احمد أمين
٢٦	بيت الراعي ترجمة محمد عبد الحميد منصور
٢٨	على هامش السيرة للدكتور طه حسين
٣١	الرجل صاحب الكلب للاستاذ محمود تيمور
٣٥	زيد أن تحب للاستاذ أنور شاؤول
٣٧	رحلة الى دير طورسينا للاستاذ الدمرداش محمد
٤٠	لاجئون وسكوتيون للدكتور طه حسين
٤٣	الكتب . نهى الاسلام — ١٥ النيل الصافي

يشترك في تحرير المجلة

الدكتور طه حسين

واعضاء لجنة التأليف والترجمة والنشر

طبعت بمطبعة فاروق ٢٨ شارع المدابغ بالقاهرة

وعهد القراء بأسلوبه سائغ المورد مأنوس اللفظ فيما نشر من صحف وألف من كتب . ولكنه منذ توفر على محاكاة الاستاذ وحيد فى تحقيق اللغة ، ومباراة شيخ العروبة فى تمحيص التاريخ ، بدت على أسلوبه الصحيح أعراض الغرابة التى تلازم اللغويين ، والاعتداد الذى يساور العلماء .

ولا نحب أن نعرض لهذه الروح المنبثة فى المناظرة (الطرطوشية) وأمثالها . فانها بين عالمين جليلين لا يجهلان أن المرء يفسد العلم . وأن شهوة التغلب تظلم الحقيقة ، أنما نرغب الى الاستاذ مسعود أن يوافقنا على أن حياة اللغة فى أحياء اللفظ الذى لا نظير له فى مألوف الكلام ، أما استبدال صيغة مهجورة بصيغة مشهورة كاستعمال اشاعيل بدل شواغل ، وطرآنية بدل طارئة ، وصُروحة مكان صراحة ، وقدورة فى موضع قدرة ، ومشيوخاء بدلا من شيوخ ، فاحياء شر من الموت ، وبيان اغمض من العمى !!

التجديد والتقليد :

صديقنا الهراوى على تجديده ينكر التجديد ، ويزعم ان كلمتى قديم وجديد ينقصهما التحديد ، وكنت احب أن اكون بجانبه حين قرأ فى الاهرام (نفثات شاعر) لصديقه وزميله الاستاذ نسيم ، اذن لاخذت اعترافه بأن فى الشعر جديداً وقديما ، وان الحطيئة قديمى عبد المطلب وقد يسمى نسيبا : والا فالى من كان ينسب هذا الشعر لو لم ينشر تحته اسم صاحبه ؟

وما زعزعتنى الحادثات كشائخ ... رسا بهضاب فوقه وأكام
وللدهر مرنان رددت سهامها ... وقابلتها من جعبتى بسهام
فقدت صديقى اللذين تبوآ ... من الشعر أعلى ذروة وسنام
واصبحت فى جيل نبا فى ودهم ... وساء ثوانى بينهم ومقامى
وليس لهم غيرى اذا جد جدهم ... وخطب الرزايا حولهم متزام
ولو شئت كانت لى زعامة شعرهم ... وكنت لمن يأتم خير امام
شوارد تزرى بالحطيئة هاجيا ... وتعيى جريرا فى مديح هشام
له الحمد ثم الحمد ماذر شارق ... وما در غيم بارق برهام
وما ذرعت بطحاء مكة اينق ... تحن بارزام لها وبغام
وماشدت الاكوار فوق متونها ... وقيدت بشزر محصد وزمام

وبعد فان الشاعر الذى يجعل الشعر جبلا وجملا ويتخيل الهضاب والآكام والجاب والسهام والارزام والبغام ، ويذكر بطحاء مكة واكوار النوق وهو فى رياض الجزيرة وعلى ضفاف النيل ، ويزعم انه موئل قومه وليس من الزعامة فى كثير ولا قليل : لا يسوغ فى العدل الأدبى أن يقيد على حساب هذا الجيل : إن تعدد الاساليب فى العصر الواحد أثر طبيعى لاختلاف العوامل المؤثرة فى كل شاعر : ولكن الاسلوب الذى لا ينسجم مع أمور الحياة : ولا يتصل بشعور الاحياء . لا يدخل فى هذه الاساليب . ولا يدل وجوده على شاعر ولا أديب

الشباب والشيب

كتب الاستاذ ابراهيم المصرى فصلا فياقى البلاغ عن أدباء الشباب ، أدباء الجيل الماضى ، نعى فيه على هؤلاء استئثارهم بالمجد واحتكارهم للشهرة وانكارهم فى سبيل ذلك جهود الشباب . وخشى ان يكون ذلك الاستئثار المضر بالأدب الشاب نحو فامن انهزام أدب انتشر لخلو الميدان ، واشتهر بطول الاعلان ، فلا يخلد بطبعه للتناصر والنقد . وقال ان شيوخ الكتاب فى الغرب لاخلاصهم لرسالتهم الادبية وثقتهم بملكاتهم الفنية ، يمدون خطى النوع الناشئ ، ويرفعون ذكر الشباب الموهوب ، ويمهدون السبيل لخلافة الجيل الحاضر ، ثم يهيب بالعزائم الفتية ان تعلن الحرب المشروعة على هؤلاء القادة الذين كسبوا هذه المناوين من غير جهد ، ونالوا هذه النياشين من غير حرب . والرسالة تقر الاستاذ المصرى على رأيه وترى من الجناية على الأدب ان تطغى أثرة الكهول على هذا الطموح ، وان تكون الهيمنة على الصحافة وسيلة الى كبت هذا الروح ، وتعلن انها بطبيعتها ومبدئها ستكون ملتقى الوئام بين الجيلين ، وسفير السلام بين الفريقين

العراق ومجمع اللغة العربية

نام صديقانا الحصرى والزهاوى ملء الجفون فى قصريهما المتقابلين على طريق الاعظمية ولا يعلمان انهما اقضا مضجع وزارة المعارف المصرية ليلة : فقد روت الصحف المحلية أن الاستاذين الكبيرين جميل صدقى الزهاوى وساطع بك الحصرى رضا ترشيحهما لعضوية المراسلة للمجمع وجرى فى خلال ذلك ذكر لجنة التأليف والترجمة ، فظنت السياسة أن هذا الترشيح كان اقتراحا من لجنة التأليف والترجمة التابعة للمجمع ، واذن يكون هذا الرفض تنفيسا للوزارة من جهة ، ودليلا على اغراض البلاد العربية عن المجمع من جهة أخرى

فأخذ الوزارة من مقال السياسة المقيم المقعد . واصدرت بلاغا رسميا تكذب فيه أن يكون منها عرض ، ومن الاديبين رفض . ووجه الوفاق بين المعارف والسياسة أن لجنة التأليف والترجمة هذه ليست تابعة للمعارف المصرية وانما هى لجنة من لجان المعارف العراقية ، تنظر فى تأليف الكتب العربية ونقل المؤلفات الغربية أما كيف دخل فى اختصاصها ترشيح الاعضاء فذلك أمر تسأل عنه وزارة (الزوراء)

مسامع الأذهان

الأدب والعلم

للأستاذ أحمد أمين

الأستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

مرت كلمة الأدب والعلم في اللغة العربية في أدوار عدة . استعملوا كلمة الأدب أحياناً فيما يرقى الخلق ويهذب النفس واستعملوها أحياناً بمعنى أوسع حتى عدوا أنحش شعر لجرير والفرزدق والاخطل أدباً، وعدوا خرجات أبي نواس وغلمانياته أدباً كما يعد الفنان بعض الصور فناً وان كانت صورة لوضع مستهجن أو فعل فاضح . وكذلك الشأن في كلمة العلم ، كانوا أحياناً لا يستعملونها إلا في العلم الديني ، ثم توسعوا في معناها حتى شمل كل ما ينتجه العقل والفن .

وفي العصور الحديثة فرقوا بين الأدب والعلم ورسموا لكل دائرة، ومن ثم كانت الصحيفة أو المجلة أحياناً أدبية، وأحياناً علمية ، وأحياناً أدبية علمية، وأصبح من المضحك أن نقول علم الأدب لأن العلم غير الأدب، وأصبح لدينا من يسمى أديباً، فلا يكون عالماً وعالماً فلا يكون أديباً، وقد يكون أديباً عالماً ولكن كلمة «عالم» الأزهرية انما اشتقت من العلم بالمعنى الواسع الذي يشمل الأدب والعلم معاً .

وبعد فما الفرق بين العلم والأدب ، وما الذي يجعل الأدب أدباً والعلم علماً ؟

الحق أن كلمة الأدب والعلم من الألفاظ الغامضة التي نفهمها نوعاً من الفهم فاذا أردنا تحديدها حرنا في أمرها . كالجمال والعدل والخيال والحرية والعبودية، واذا سألنا — حتى الخاصة — في معناها أجاب كل حسب ميوله وأغراضه وحسب طبيعة فهمه للكلمة .

هناك أشياء لا نشك في أنها علم أو أدب. فلو سئلت عن نظريات الهندسة وقانون اللوغارتمات وقوانين الحساب والطبيعة والكيمياء فذلك علم بالبداهة. واذا سئلت عن قصائد بشار وأبي نواس والمتنبي ومقامات الحريري فذلك أدب لا علم ، ولكن ما حدود الأدب وما حدود العلم؟

قد عودتنا الطبيعة أن الاضداد تفهم ما تباعدت، فاذا ما تقاربت حدودها صعب فهمها، ما أسهل ما نقول ان هذا ظل وهذا شمس ، ولكن عند تقارب الظل من الشمس تجد خطوطاً يصعب أن تقول أهي ظل أم شمس، وما أسهل ما تقول ان هذا الماء حار أو بارد اذا اشتدت حرارته وبرودته ولكن ما أصعب ذلك اذا أخذ الحار يبرد والبارد يسخن فانك تصل لا محالة الى درجة يعسر عليك الحكم فيها بالحرارة أو البرودة .

أكبر ظاهرة في التفريق بين الادب والعلم أن الأدب يخاطب العاطفة، والعلم يخاطب العقل ، فاذا قلت ان زوايا المثلث تساوي قائمتين فانك تخاطب العقل ولا تمس العاطفة واذا قال المتنبي :

خلقت ألوفا لو رحلت الى الصبا ... لفارقت شيبي موجع القلب باكياً

فهو يمس العاطفة أولا، ومن أجل هذا كانت الجملة الاولى علما وبيت المتنبي أدباً .

العالم يلاحظ الاشياء يستكشف ظواهرها وقوانينها وعلاقتها بأمثالها وما يحيط بها ، على حين أن الاديب لا ينظر اليها إلا من حيث أثرها في عواطفه وعواطف الناس ، ينظر الباقي الى شجرة الورد فيدرس كل جزء منها والتغيرات التي تطرأ عليها من وقت لآخر الى وقت فنائها، ومن أية فصيلة هي ، وما علاقتها بالفصائل التي تقرب منها، أما الأديب فينظر الى أجزاء الشجرة منسقة متناسبة ويرى أنها لم تخلق إلا لزهرتها الجميلة ، وأن بين الزهرة وقلبه نسباً . يعجب بحمرة لونها على خضرة أوراقها ويذهب خياله في ذلك كل مذهب أما الباقي فيبحث لم كانت الزهرة حمراء وأوراقها خضراء .

عالم الحياة لا يرى في الفتاة المحبوبة إلا انساناً خاضعاً لكل ابحاث البيولوجيا أما الاديب فيرى في محبوبته شيئاً وراء كل ما يبحث عنه العالم هي ، الحياة وهي الدنيا وهي النعيم اذا وصلت والبؤس اذا صدت. أو يقول مع القائل :

ويلاه ان نظرت سوان هي أعرضت ... وقع السهام ونزعهن أليم

فالكلام اذا لم يثر عاطفة لم يكن أدباً فاذا هو خاطب العقل وحده كان علما ، واذا أمعن في اثارة العاطفة كان أمعن في الادب .

وليس الأدب وحده مرتبطة العاطفة فقد تفوقه في هذا الموسيقى فهي قادرة على أن تضحك وتبكي ، وتسر وتحزن، وتسر سروراً حزيناً ،

ونحزن حزنا سارا، وتؤلم ألما لذيذا، وتلذ لذة أليمة، وتثير الشجاعة حتى لتدفع الى الموت، وتمنك الخمول حتى لتدعو الى اللوم. تقدر الموسيقى أن تفعل كل ذلك فى العاطفة، وهى أقدر من الأدب لأن الأدب يخاطب العاطفة بواسطة الكلام ومن طريقه أما الموسيقى فتخاطب العاطفة وجها لوجه من غير وسيط. تؤثر فيك أدوار العود والقانون والبيانو ولو لم تصحب بكلام ولو لم تفهم أى معنى منها، بل قد تكره أن تفهم الا النغم وحلاوته والتوقيع وعذوبته.

أما الأدب فلما اعتمد على الكلام والكلام انما يفهم بالعقل، كان لابد للقطعة الادبية من قدر من العقل ومن المعانى تستثار بها العاطفة وتهيج بها المشاعر.

وارتباط العاطفة بالأدب هو الذى منح الادب — لا العلم — الخلود، فالناتج الأدبى خالد أبدى لا الناتج العلمى، فقصائد امرئ القيس والنابغة وجرير والفرزدق وبشار وأبى نواس والمتنبى كلها خالدة تقرؤها فتجد منها كما يجد منها من كان فى عصرهم، فأن احتاج الى شىء فتفسير ما غمض من الألفاظ والمعانى، وهو بعد يشعر بشعورهم ويسر كسرورهم. ثم القطعة الادبية لا تمل، تقرؤها ثم تقرؤها فتسر منها فى الثانية سرورك منها فى الاولى، بل تحفظها ثم تعشق تلاوتها وتكرارها. وليس ذلك هو الشأن فى العلم فحقائق العلوم خالدة ولكن منتجات العلوم غير خالدة فما فى كتاب أقليدس من نظريات هندسية خالدة ولكن الكتاب لا يقرؤه الآن الا من أراد أن يرجع الى تاريخ الهندسة، وكل كتاب فى الهندسة يموت بمرور سنين عليه ولا تعود له قيمة الا القيمة التاريخية مهما حوى من نظريات جديدة وترتيب جديد، وكذلك كتب الحساب والجبر والطبيعة والكيمياء والفلك ليست خالدة وان كانت الحقائق التى فيها خالدة، بل الطبعة الثانية من هذه الكتب تقضى على الطبعة الأولى بالفناء اذا دخلها تغيير، وليس طالب علم الآن يرجع الى ما ألف من خمسين عاما الا اذا أراد أن يؤرخ العلم ولكن طالب الأدب يرجع الى ديوان المتنبى الآن ليتذوق أدبه ويلذ مشاعره كما كان ذلك منذ ألف عام وقد حفظت بعض قصائده ولا أزال أستمتع بترديدها ولكن ان أنت قرأت كتابا فى الرياضة وفهمت ما فيه لا تستطيع بحال أن تعيد قراءته الا على مضض.

والسبب فى هذا — على ما يظهر — أن عواطف الناس لم تتقدم كما تقدمت عقولهم. قد ترقى العواطف شكلا فترى أن الاحسان الى الفقير بأعطائه درهما ليس خيرا ولكن خيرا منه بناء مستشفى وانشاء ملجأ ونحو ذلك، ولكن العاطفة هى هى فى أساسها وقد ترقى عاطفة الحنو الأبوى فلا ترى مانعا من دفع الاولاد الى حرب الحياة وجوب الافطار، ولكن العاطفة فى أساسها واحدة. أما العقل فوثاب دائما وراق أساليب الشكل وفى الاساس يرى حلالا اليوم ما كان حراما بالأمس ويرى حقا الآن ما كان باطلا من قبل ويخترع كل يوم جديدا ويصوغ حياته وفق الجديد. ومن أجل ذلك لا يلذ له أن يقرأ عمل السابقين الا كما يقرأ تاريخهم ولكن عواطفه هى هى تركت وتركت فقد تقوم بما يمل عواطف الاقدمين وان كرت عليها الدهور وتوالت العصور، وليس الأمر بهذا القدر من السهولة فى الفصل بين الادب والعلم، فهناك أنواع تصعب الفصل فيها حتى على الخاصة أأدب هى أم علم، هناك أدب معلم، وهناك علم مؤدب، هناك تاريخ صيغ صياغة أدبية فلا يكتفى بسرد الحقائق وتعيين زمن وقوعها وإنما يصنع ذلك فى قالب يثير شعورك للاحتذاء والقدوة أو للحب أو الكراهة، وهناك فلسفة صيغت فى قالب قصة. وهناك طبيعة وكيمياء صاغتها يد صناع ماهرة فى الفن تحمل قلم أديب فأخرجت منها موضوعات شيقة تثير عاطفة الجمال وتستخرج الأعجاب بما فى هذا العالم من ابداع وفن.

هذه الموضوعات وأمثالها ليست أدبا خالصا ولا علما خالصا وانما هى علم أدبى أو أدب علمى. هى أدب بمقدار ما تثير من عاطفة، وهى علم بمقدار ما فيها من حقائق.

العلم لغة العقل، والأدب لغة العاطفة، ولكن لا بد فى هذه الحياة أن يلطف العلم بالادب، والادب بالعلم، فالعقل اذا جمح استخف بالشعور وجعل الحياة تمثالا للعلم، وهو اذا مزج بشىء من الادب مس الحياة ورفه على الناس، والعاطفة اذا شردت كانت ثورانا وهياجا. ألا ترى التعجب يزيد فيكون لهاجا، والعشق يوهم فيكون جنونا؟

احمد امين

ضحى الاسلام

هو الجزء التالى لفجر الاسلام

بحث فى الحياة العقلية للعصر العباسى الاول

تأليف

الاستاذ احمد امين

الاستاذ بكلية الآداب بالجامعة المصرية

يطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه عشرون قرشا

حظ الاديب فى مصر

للأستاذ عبد العزيز البشرى

خاض بعض أفاضل الكتاب فى هذا الحديث فتظاهروا على أن الأدب لا يجدى فى مصر على أهله ، وإن هو أجدى بعض الاحيان فهى شح وتقتير ، إذ هو فى بلاد الغرب يعود بالغنى والثراء ، وقد يعود بأوسع الغنى وأضخم الثراء . وراحوا يشتبون مذاهب العلل والاسباب لهذه الحال : ومن بين هذه الاسباب قلة عدد المتعلمين فى البلاد ، وفتور هؤلاء عن اقتناء كتب العلم والادب ، وخاصة اذا استخرجت منهم أثمانها . وانتشار الادب الرخيص تتضح به بعض المجلات الاسبوعية فيقبل عليه الشباب من المتعلمين ومن لا يزالون فى طريق التعلم مطاوعة للشهوة ، ولانه لا يحتاج الى كد ولا مطاولة . وكذلك اضافوا الامر الى أثرة الناشرين واستغلالهم حاجة الادباء وضعف وسائل هؤلاء الى القيام بنشر آثارهم بأنفسهم . ثم الى عدم عناية القادرين ، من أى صنف كانوا ، بالادب الرفيع يذكونه بألوان المعونة والتشجيع .

وكل هذه الاسباب لا تعدو فى رأى الحق الواقع فى كثير ولا قليل . وعلى ذلك لم أدفع القلم اليوم لمناقشتها والتماس سواها ، وإنما لأسرد تاريخاً موجزاً لصلة الادب بالمادة فى بلادنا ابتداء من الجيل الذى شهدنا طرفه الى غاية هذا الجيل الذى نعيش فيه .

كان الادب من بضع وخمسين سنة مجرد حلية وزينة يتكلفه المتأدبون إما للدفاكهة والتعابث والتظرف . واما للرقى طلبا للتمكين من المنصب أو الحظوة عند أولى الأمر ، أو استخراجا للاحسان .

لم يكن الادب ، فى الجملة ، اذن يطلب غرضا سامياً سواء من امتاع النفس باطلاعها على ما فى الكون من قتنة وجمال ، أو معالجة القضايا العامة وملابسة الاسباب الدائرة بين الناس . فكان الشعر فى الجملة أيضا ، يدور فى المذاهب التى سلكها العرب الأقدمون من مدح وهجاء ، وفخر وغزل ورثاء : على أنه حتى فى هذه الأغراض الضئيلة لم يكن أكثره على شىء من الخطر سواء فى سمو المعانى أو فى قوة الاداء . بل كان نسلا ضعيفا متزايل الاجزاء . وكيف يشعر لا يزيد على أنه نقض دارس مما أزل شعراء العهد العثمانى : التماس للمحسنات البديعية من جناس وتورية واستخدام ، بالغة ما بلغت المعانى وواتاها ما وقع نظم الكلام .

أما النثر ، وأعنى النثر الفنى بالضرورة ، فكان أشد نحولة وأبلغ تزايلا : كلام لا يكاد يجرى لغرض أو يستشرف الى غاية : انما هو السجع يلتزم فيه كله فترى فيه السخن والبارد ، والحلو والحامض .

لم يكن من شأن هذا المقال أن يعرض للاسباب التى بعثت هذا الادب القوى العالى الذى نذوقه اليوم ، فذلك مبسوط فى كتب تاريخ الادب العربى . وانما عقدنا هذا الكلام لايراد موجز من تاريخ التكسب بالادب عندنا فى العصر الحديث كما ذكرنا فى صدر هذا المقال .

لقد كان التكسب بالشعر ، فى الجملة ، من طريق واحدة ، هى ان طائفة ممن يتكلفون نظم الكلام كانت الحاجة تبعثهم الى أن يرتصدوا لحكام البلاد وأعيانها وموسريها حتى اذا دخلت على أحدهم نعمة من أى لون كانت أو مات له ولد أو نسيب بادروا بازجاء التهنئات يموهون حروفها ماء الذهب ، أو المراثى يحلون رقاعها بالسواد ، ولا يزالون يختلفون اليه فى طلب العطية . وقد لا يظفرون ، فى الغاية ، الا بتسريح بغير احسان . ولقد أساء هؤلاء الى الادب اساءة بالغة بحيث نشأت ناشئة الجيل الماضى وهى لا تكاد ترى فى الادب الا الكدية ، ولا فى الاديب الا أنه شحاذ !

أما التكسب بالنثر فكان له طريق آخر أتبح من ذاك وأجزى . وذلك باصدار صحف صغيرة حقيرة لقد تظهر مرة فى الاسبوع أو فى الشهر أو فى نصف العام . وعادة كبها فى الواقع من تخويف ضعاف النفوس بتشهيرهم وطلب معايبهم والتلمس الى مكارههم إلا أن يشتروا أعراضهم ، فان فعلوا والا فلا مهم الهبل .

ولقد انتهى ، والحمد لله ، هذان الضربان من التكسب بالادب ولم يبق لهما فى بلادنا ، على ما أرى ، من أثر . ولعل ذلك راجع الى تغير فهم الناس لمعنى الادب ، وارتفاعهم به على ذلك الهوان ، والى انتشار الثقافة بوجه عام ، والى خشية سطوة القانون بوجه خاص .

وليس معنى هذا أنه لم يكن هنالك أدب ولا أدباء ، بل كان الشعراء وكان خيار الكتاب ، الا أنه لم يكن يتكسب أحد من هؤلاء (ما عدا الصحفيين المحترفين) بصنعة القلم .

نعم كانت الصحافة بمعناها الصحيح ، ولا زالت مهنة كريمة نبيلة تجدى على أصحابها وعلى المشتغلين بها مايعودون به على شملهم ، بل ما قد يغنيهم ويضيف اليهم الثروات الضخام . أما هواة البيان ، على حد التعبير الحديث ، فلم يكن لهم من هذه الجدوى نصيب .

ثم كانت (الجريدة) وقام على شأنها أستاذنا العلامة الكبير أحمد لطفى السيد بك ، فرأى أن يجمع نفراً من كبار العلماء

والكتاب الى تغذية الجريدة من وقت لآخر بالمقالات المتخيرة المتنقاة فى مختلف أسباب الحياة ، واجتمل لهم على ذلك الجمالات. ولعله فى ذلك كان متهديا سنة الصحافة فى بلاد الغرب .

على أنه لما اشتدت قوة الصحافة فى مصر وعظم انتشارها بحكم اطراد الحضارة وكثرة المتعلمين ، وازدياد تتبع الجمهرة للاسباب العامة وشدة اهتمامها بها — اضطرت — كبريات الصحف ، بنوع خاص ، الى العناية بتجويد تحريرها ، واغزار مادتها ، حتى لقد جردت بعض صفحاتها لطريف البحوث فى شتى العلوم والفنون ، وفوق أنها أضعفت وظائف محرريها أضعافا . فقد جعلت كذلك تؤجر الكاتبين فيها من غير محرريها عما لم يكن يحلم به أحد من عشر سنوات خلت .

هذه حقيقة للأدباء أن يغتبطوا بها ، واذا كان المدى بين حظوظهم وبين حظوظ رصفائهم فى الغرب لا يزال فسيحا ، فلهم من الأمل فى القريب مزيد إن شاء الله .

° ° °

بقى الحديث فى التكسب بالأدب من طريق نشر الكتب ودواوين الشعر . والذى شهدناه من أعقاب الجيل الماضى ولا نشهد غيره الى اليوم أن الكسب من هذه الطريق يكاد يكون مكسورا على جماعة الوراقين كما قال بحق بعض كبار الكاتبين . على أننى أرجو منه أن يأذن لى فى استثناء أصحاب الكتب المقررة للتدريس ، فأولئك وحدهم المجدودون ، أو الذين كانوا مجدودين الى وقت قريب .

لقد كان الأدب عندنا ، ولعله لا يزال عند الاكثرين الى الآن ينتظم فى سمط الكماليات ، والكماليات عند أكثر الناس ليست حقيقة بأن يخف المرء اليها ، اللهم إلا إذا واتته عفوا ، أو بغير مشقة ولا جليل انفاق . فبات بديها ألا تنفق كتب الأدب حتى تعود على أصحابها بنفقات طبعها ، بله الثروة وكرائم الأموال .

أما كتب العلم ، فان العلم يطلب فى بلادنا على أن يفضى الى إحراز شهادة رسمية تقلد محرزها منصبا حكوميا ، فاذا لم يكن الأمر على هذا فلا كان علم ولا كان تعليم !

هذه حقيقة واقعة أرى أن انكارها ضرب من الغش والتدليس مشايعة لهوى الجمهور ، والعياذ بالله ! لعل واحدا فى كل ألف من الذين ختموا دروسهم فى بلادنا هم الذين يشقون كتابا عليا لاندفاعهم الى شقه حاجة المهنة . نعم لعل فى الألف من المتعلمين واحدا أو دون الواحد هم الذين يطلبون العلم ويراجعون مدوناته ليكملوا أنفسهم ، وليزينوا من معارفهم ، ويفسحوا فى ملكاتهم . العلم عسير الهضم ، يكد الذهن ويجهد النفس ، فهم مكابدته وشدة المطاولة فى تحصيله ما لم تقض بتحصيله ضرورة ملحة قاسية ، من ارهاق الولى أو الحاح الحاجة ، أو جموح الشهوة الى المنصب يعرض الجاه ، ويعز فى الأهل والصحاب ! . وكيف تريدون أن تنفق عندنا كتب العلم للعلم ؟ ! . . . .

أما الكتب المقررة للتدريس فهى التى كانت الى وقت قريب ، تدر على أصحابها الكثير ، بل الذى يستطيعون أن يكاثروا به أعلى مؤلفى الغرب قدرا وأبعدهم صوتا ! ولا أحسب أن هذا الاجداء كله يرجع الى فضل المؤلفين وحده وعظم تجويدهم لما يخرجون من فنون الكتب ، بل لعل شيئاً من ذلك يعود الى أن هذه الكتب مفروضة فرضا على العديد الاكبر من تلاميذ المدارس تشتريه وزارة المعارف لهم أو تريدهم على شرائه ، وإلا خذلوا فى الامتحان وأفلتهم الاجازات ، أو على الاصح فاتهم التأميل فى المناصب الحكومية ، ولا حول ولا قوة الا بالله !

الواقع أن أكثر الكتب المقررة موف على الغاية من التجويد والاحسان ، ولكنها غير مدينة فى رواجها الى هذا التجويد والاحسان . بل هى مدينة فى ذلك ، مع الاسف الكثير ، لأنها مفروضة على التلاميذ فرضا ، ولو قد عدل عنها ما أخرجت المكتبات عشر معشار ما تخرج منها على أسخى تقدير . وهذه الحقيقة المرة القاسية ترينا مبلغ حظ العلم والأدب فى هذه البلاد .

ومهما يكن من شىء فان لنا أن نغتبط ، ولو قليلا ، اذا نحن قسنا حاضرنا بماضينا القريب ، فبين مؤلفينا من يستردون من أثمان مؤلفاتهم ما أخرجوا لطبعها ، وفيهم من تفضل عليهم من الربح الكثير أو القليل . وكل الذى نرجو أن تطردهم الشبابيك تحصيل العلم الصحيح ، وتجرد عزائمهم فى طلب الأدب العالى . معرضين عن التماس هذا الأدب الهين الرخيص هنالك تنبعث فى البلاد الحياة القوية العزيزة ، وهنالك يجازى العلماء والأدباء بما يكافىء الجهد العظيم ؟

عبد العزيز البشرى

مطبعة فاروق

٢٨ شارع المدابغ بمصر

لا تعلن عن نفسها إلا بالعمل

أثر الثقافة العربية في العلم والعالم

بقلم أحمد حسن الزيات

٢

فرغ العرب من رسالتهم الدينية بانقضاء الفتوح، ولم يكد الأمر يستوثق لهم والنظام يستقر بهم وظلال الأمن ترف عليهم حتى أخذوا يبلغون العالم رسالتهم العلمية بذلك العزم الذي لا ينكل عن خطة ولا يقف دون غاية. وكان مهبط الوحي بتلك الرسالة بغداد لأنها البلد الأول الذي وفرف عليه السلام وتدفق فيه الغنى واشتد به الخلاط وتجمعت لديه شتى الوسائل. ومن خير هذه الوسائل التي حققت هذا الشرف للعراق أن علماء الناطرة الذين نفوا إليه من الممالك الرومانية الشرقية لأسباب دينية، كانوا قد أنشأوا في إديسة من بين النهرين مدرسة تنشر علوم اليونان والرومان، ولما أغلقها الأمبراطور زينون الأوزوباني لأسباب دينية أيضا، لاذوا بأكناف بني ساسان فلقوهم لقاء جميلا، وأقام لهم أنوشروان في جنديسابور مدرسة وصلت ما انقطع من تلك الحركة. وكان الأمبراطور جستنيان يومئذ قد فتح باب الجور على أساتذة المدارس الأفلاطونية في أثينا والاسكندرية فألجأهم للجلاء والشراد فما اعتصموا منه إلا بفارس. وأخذ هؤلاء وأولئك ينقلون إلى السريانية والكلدانية كتب أرسطو وسقراط وجالينوس وأقليدس وأرخميدس وبطليموس، فكان ما ترجموه من العلوم ومن خرجوه من العلماء نواة صالحة لهذه النهضة المباركة التي نهد لها الخلائف الأولون من بني العباس. كان أول من تلقى وحي هذه الرسالة الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور فأنشأ المدارس للطب والشريعة واستقدم جرجيس بن بختيشوع رأس أطباء جنديسابور نفرا من السريان والفرس والهنود فترجموا له كتبا في الطب والنجوم والأدب والمنطق. ثم حملها من بعده الرشيد فنفخ فيها من روحه ونشرها في العالم بروحه وترجم في زمنه ما وجد من كتب الطب والكيمياء والفلك والجبر والنبات والحيوان. فلما تلقاها المأمون لم يبق من كتب العلوم والفنون والصناعة شيء في العبرانية واليونانية والسريانية والفارسية والهندية إلا نقل إلى العربية. ولم يقف العرب عند الدرس في هذه المترجمات وإنما أقبل بعضهم على تحصيل اليونانية واللاتينية ليرجموا بهما الى بعض تلك الأصول. وفي مكتبة الاسكوريال ما يثبت ذلك من قواميس عربية يونانية وأخرى عربية لاتينية قد ألفها العرب للعرب. ثم أقبل الناس في الشرق والغرب على هذه العلوم يعالجونها بالشرح والتحليل حتى اجتازوا سراعا دور التلمذة والتقليد الى دور الابتكار والتجديد، فهبوا ينشئون المدارس ويقيمون المراصد ويحصرون المسائل ويؤلفون الرسائل ويؤسسون المكاتب، وقد جروا في ذلك الى أبعد الغايات. ذكر (بنيامين دتوديله) أنه رأى في الاسكندرية عام ١١٧٣م عشرين مدرسة، فما ظنكم ببغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة وقد كان فيهن عدا العدد الوفر من مدارس الثقافة العامة جامعات للثقافة الخاصة وما يتبعها من وسائل البحث كالمعامل والمراصد والمكاتب؟

وانكم لتكبرون ما بذله العرب من الجهود الجبارة في سبيل المدنية والعلم اذا قسموه على ما خلفوه من البحوث وما ألفوه من الكتب. فقد تناولوا أصول المعارف الانسانية بالتقصي الدقيق والغوص العميق حتى فرعوها الى ثلاثمائة علم أحصاها طاشكبرى زاده في كتابه مفتاح السعادة. ثم استنزفوا الأيام في معاناة التأليف على صعوبة النسخ وكثرة المؤونة وقلة الجدوى. فتركوا للعالم ذلك التراث الضخم الذي اشتملت عليه مكاتبهم في الشرق والغرب. فقد ذكر (جيبون) في كتابه عن الدولة الرومانية أنه كان في طرابلس على عهد الفاطميين مكتبة تحوي ثلاثة ملايين مجلد أحرقها الفرنج سنة ٥٠٢ ه، وقال المقريزي انه كان في خزانة العزيز بالله الفاطمي مليون وستمائة ألف مجلد نزل بها ما نزل بمصر من الاحداث فأغرقت في النيل أو ألقيت في الصحراء تسفي عليها الريح حتى صارت تلالا عرفت بتلال الكتب! وروى المقري انه كان بخزانة الحكم الثاني بقرطبة أربعمائة ألف مجلد فيها أربعة وأربعون للفهرس، وأبلغها الأستاذ جوستاف لوبون الى ستمائة ألف، ولاحظ بهذه المناسبة أن شارل الحكيم الذي اعتلى عرش فرنسا سنة ١٣٦٤ أي بعد خلافة الحكم بأربعمائة سنة، لم يستطع أن يجمع في المكتبة الأهلية بباريس حين أسسها الا ستمائة مجلد كتب ثلثها في علوم الدين. فاهيكم بالثمانين ألف مجلد التي دمرها (كيمينيس) في ساحات غرناطة وبما أحرقه التتار في بخارى وسمرقند وأغرقه هلاكو ببغداد عاصمة العلم والعالم في ذلك العهد! ويلوح لي أنه ليس في ذلك كثير من المبالغة، فان في المؤلفين من تبلغ تصانيفه بضع مئات، وان في المؤلفات ما يقع في عشرات

المجلدات، فلابن عبدة مائتا كتاب، وللكندي واحد وثلاثون ومائتان، وللرازي مائتان، ولابن حزم أربعمائة، وللقاضي الفاضل مائة. وجاء في نفح الطيب أن مؤلفات عبد الملك بن حبيب عالم الاندلس قد بلغت الالف. على أن توالي الفتن والمحن على العالم الاسلامي لم يبق للعصر الحديث من هذا الكنز المدخور والمجد المسطور الا ثلاثين ألفاً وزعت على مكاتب العالم!

يزعم بعض المتعصبين من العلماء الأوربيين ان العرب انما كانوا في العلم حملة على اليونان ونقلة عنهم، فليس لهم اصالة فكرية ولا عقلية فلسفية، ولو لم يكن للعرب على زعمهم من الاثر الا انهم انقذوا هذه الكتب من عدوان الارضة، وحفظوا تلك العلوم من طغيان الجهالة، حتى أدوها صحيحة نقية الى العصور الحديثة لكان لهم بذلك وحده الفخر على الدهر والفضل على الحضارة. فكيف والواقع غير ما يدعون بشهادة المنصفين منهم؟ فان ملايين الكتب التي دمرتها بربرية اسلافهم في الغرب، واشباه اسلافهم في الشرق، لم يكن ما نقل منها عن خوالي الامم الا بضع مئات كانت أساساً لبناء باذخ ضخم شاده العرب، ونواة لدوحة باسقة ظليلة رواها وغذاها الاسلام. فالطب قد أخذوا أصوله عن ابقراط وجالينوس وبعض السريان والهنود، ولكنهم نقوا هذه الاصول من الشعوذة، ورتبوها بالترتيب، ونموها بالتجربة، وانتقدوا مذاهب القدماء في تعليل بعض الادواء، واستحدثوا في التشخيص والعلاج نظريات وعمليات ووسائل أطبق الباحثون على أنها لم تعرف ممن قبلهم، ولم تنسب الى غيرهم، ككشفهم علاج اليرقان والهيضة. واخذ المرضى بالفصد والتبريد والترطيب في الفالج والحمى واللقوة على غير ما ألف الأقدمون. نقل ذلك صاعد بن بشر ببغداد فنجح تدبيره فاقتدى به سائر الاطباء بعده. وهم أول من استعمل المرقد في الطب، والكاويات في الجراحة. وصب الماء البارد لقطع النزيف. وقد فطنوا الى عملية تفتيت الحصاة، وعين ابو القاسم خلف بن عباس الزهراوي المعروف عند الفرنج (بالبوكاريس) موضع البضع لاخراجها، وهو ما عيبه متأخرو الجراحين من الفرنج. وابو القاسم هذا هو الذي قال فيه الاستاذ هالير: «إن كتبه كانت المنهل العام الذي نهل منه جميع الجراحين بعد القرن الرابع عشر». وابو بكر محمد بن زكريا الرازي أول من كتب في أمراض الاطفال، وألف في الجدري والحصبة، واستعمل الكحول والحجامة في الفالج. والرئيس ابو علي بن سينا أمير الاطباء وجالينوس العرب كما يلقبه الفرنج وضع كتابه القانون فكان شريعة الطب في العالم زهاء ستة قرون. وكان عمدة التدريس في جامعات فرنسا وايطاليا ولم ينقطع تدريسه من جامعة مونبلييه إلا أواسط القرن التاسع عشر. وقد تعرض فيه بالتفصيل الدقيق الى علم الصحة وقرر نظرية (الهجين) الرياضي وهي نظرية كان المظنون انها من ثمرات العلم الحديث. ومن الاقوال المأثورة ان الطب كان معدوما فأحياه جالينوس، وكان متفرقا فجمعه، الرازي وكان ناقصا فأكمله ابن سينا. واذا مضينا نذكر أمثلة مما جاد سائر الاطباء العرب كابن زهر وابن رشد وابن باجة وابن طفيل استبحر القول والتاث علينا تحديده وحصره. وفي كتاب طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة وتراجم الحكماء لابن القفطي وتاريخ الطب العربي للكثير كما ينقع غلة المستزيد. وللعرب القدم الأولى واليد الطولى في الصيدلة والكيمياء والنبات، وهي في رأيهم شعب من علم الطب أو لواحق به. فهم واضعو أصول الصيدلة وأول من مارس تحضير العقاقير واستنباط الادوية. كذلك هم أول من ألف في الاقرباذين على هذا النمط، وأقام حوانيت الصيدلة على هذا الوضع. وظل العرب معتمدين في المارستانات والصيدليات على أقرباذين وضعه سابور بن سهل في منتصف القرن الثالث من الهجرة حتى نسخه اقرباذين ابن التليذ المتوفى سنة ٥٦٠ ببغداد. ولا تزال اسماء العقاقير التي أخذها الفرنج عن الشرق في كتبهم على وضعها العربي المرتجل أو المنقول. ولا نزاع اليوم في أن علم الكيمياء الصحيح انما يؤرخ وجوده بجهود العرب فيه. فانهم في سبيل العثور على الاكسير أو انكاره هدوا الى عمليات أساسية ومركبات كيميائية كان لها الأثر الظاهر في تأسيس هذا العلم. والفرنج يعترفون للعرب بانهم عرفوا التقطير والترشيح والتصعيد والتذويب والتبلور والتكليس، وان جابر بن حيان وأخلافه قد استنبطوا طائفة من الاحماض التي تستعمل اليوم. كذلك برع العرب في علم النبات وبخاصة ما يتصل منه بالطب، فقد استفادوا مما كتبه دسقوريدس وزادوا عليه ما وفقوا اليه من شتى الانواع ومختلف الشكول. والعلماء لسان واحد في أنه لم يأت بين دسقوريدس اليوناني وليبه السويدي المتوفى سنة ١٧٠٧ أطول باعا ولا أوسع اطلاعا في هذا العلم من ابن البيطار المالقي. فانه درس كتاب دسقوريدس ثم رحل الى بلاد اليونان وأقصى ديار الروم فحقق أنواع النبات

بنفسه، واتصل ببعض من يعاونون ذلك فاستعان بفهمهم على فهمه، وأضاف علمهم الى علمه، ثم عبر الى المغرب فقام بمثل ذلك، وطلب منابت العشب في مصر والشام فدرسها حق الدراسة ثم وضع بعد طول الدرس وسعة الخبرة كتابه الموسوم بجامع مفردات الأدوية والأغذية فكان اجمع الكتب في فنه. ومرجع الاوربيين في موضوعه. ولا يقل عن ابن البيطار في التفوق والفضل معاصره ومؤازره رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ فقد بلغ من اتقانه انه كان يخرج الى الاودية والفلوات في درس النبات ومعه مصور قد استكمل آلته وأصاغه، فيشاهد النبات ويحققه ويريه المصور في ابان نباته وفي وقت كماله ثم في حال ذواه ويبسه، فيعتبر لونه ومقدار ورقه واغصانه واصوله ثم يصوره في كل طور من اطواره بالدقة. وذلك غاية ما بلغته الامانة العلمية اليوم من الكمال. اما أثر العرب في العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية فيحسننا أن نشير الى انهم أول من نقل الارقام الهندية الى أوربا، واول من استعمل الصفر في معناه المعروف، وان كلمة الجورتمي اللاتينية مشتقة من اسم الخوارزمي محمد ابن موسى المتوفى سنة ٢٣٠ هـ وان الجبر باسمه العربي يكاد يكون علما عربيا بعد ان وضع الخوارزمي كتابه في الجبر والمقابلة. وقد قال (كاجوري) في كتابه تاريخ الرياضيات: «ان العقل ليملكه الدهش حينما يقف على اعمال العرب في الجبر». وفي مادة المثلثات من دائرة المعارف البريطانية أن العرب أول من أدخل المماس في عداد النسب المثلثية. وهم الذين استبدلوا الجيوب بالأوتار وطبقوا الجبر على الهندسة وحلوا المعادلات التكعيبية. وفي الفيزياء أو علم الطبيعة كشفوا قوانين ثقل الاجسام جامدها ومائعها، وبحثوا في الجاذبية وقالوا بها. وكان ابو الحسن علي بن اسماعيل الجوهري أول من وضع مبادىء الضوء وأوضح أسباب انعكاسه عن النجوم، وأصلح الخطأ الشائع بومئذ من ان الاشعة تنشأ في العين ثم تمتد الى المرئيات. وتشهد دائرة المعارف البريطانية في مادة الضوء أن بحوث العرب فيه هدت العلماء إلى اختراع المنظار. وفضل العرب على الفلك من البينات المسلمة، فقد رصدوا الافلاك وألفوا الأزياج وابتكروا آلات الرصد وصححوا اغلاط اليونان والهند وحسبوا الكسوف والخسوف ورصدوا الاعتدالين الربيعي والخريفي وقالوا باستدارة الأرض ودورانها على محورها. وذكر (سكوت) في كتابه المملكة الاندلسية ان عالما من طليطلة رصد أربعمائة رصد وبقيا ليحقق أبعد نقطة في الشمس عن الأرض ولم يختلف حسابه في ذلك عن أدق المباحث الحديثة الا بجزء من الثانية. ويقول (كاجوري) ان اكتشاف بعض الخلل في حركة القمر يرجع الى ابي الوفاء الفلكي الزرجالي لا الى تيخو براهي. وقد عد لالاند الفلكي الفرنسي الثاني في العشرين فلكيا المشهورين في العالم كله ولا تزال طائفة الاصطلاحات العربية في الفلك مستعملة في كتب الفرنج كالسمت والنظير والمناخ والمقنطر والسموت فضلا عن أسماء النجوم والعربي منها لا يقل عن النصف.

واما أثرهم في الفلسفة المدرسية فان الكندي والفارابي وابن سينا في الشرق، وابن باجة وابن طفيل وابن رشد في الغرب، قد توفروا على فلسفة اليونان بالدرس والشرح والتمحيص حتى جددوا دارسها وجلوا طامسها وكملوا ناقصها وسموها بسمة الحرية والعبقرية والنضوج. ولقد أثار ابن سينا بفكره الحر المنظم، وعقله القوي المنطق، مسائل من العلم تشغل اذهان الباحثين اليوم. ووضع ابن طفيل قصته الفلسفية (حي بن يقظان) فأبان عن قوة نادرة في التفكير، وموهبة عجيبة في التصوير، واستيعاب متسع للأفلاطونية الحديثة. وقد نقل هذه القصة الى اللاتينية (إدوارد بوكوك) سنة ١٦٧١ فظهر أثرها سريعا في قصة (روبنصون كروزويه). وشهد ريتان لابن رشد في كتابه عنه «أنه أعظم فلاسفة القرون الوسطى ممن تبع ارسطو ونهج سبيل الحرية في الفكر والقول». ودخلت العالم المسيحي فلسفة ابن رشد وفلسفة ارسطو فكان الاعتراض عليهما شديدا والاعجاب بهما أشد. وكان اللاهوتيون في القرون الوسطى يعجبون بابن رشد وسعة علمه ودقة فهمه ونفاذ بصيرته ولكنهم كانوا يخشون أثر رأيه الجري في العقائد. ويجدون (دانتي) في الملهاة القدسية قد جعل ابن رشد وابن سينا في المقام الذي جعل فيه عباقر الرجال من جهنم. تلك يا سادتي اشارات مبهمة مجملة إلى جهود العرب في العلم وآثارهم في الفكر تجدون بيانها وتفصيلها في تاريخ هذه العلوم، عرضتها هذا الاجمال على سبيل المثال لنقول لاصحاب ذلك الرأي الظنين الآفن ان التجديد في العلم يستلزم الاستقصاء البالغ والتمثيل التام والفكر المستقل، وان العرب كما قال البارون (كارادفو) لم يكونوا ناقلة للعلوم فحسب. ولكنهم بذلوا الجهد في اصلاحها وتحقيقها، وأفرغوا الوسع في بسطها وتطبيقها، حتى أدوا أمانتها الى العصر الحديث.

«يتبع ....»

فلسفة شـــوبنهور

للاستاذ زكي نجيب محمود

عصره :

سادت فى أوروبا روح التشاؤم فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، وتملك النفوس يأس قاتل ، وارتفعت بذلك أصوات الشعراء والفلاسفة فى كل ناحية من نواحى القارة : بيرون فى انجلترا ، ودى موسيه فى فرنسا ، وهيى وشوبنهور فى ألمانيا.

ولقد يقف المرء أمام هذه الظاهرة العجيبة وقفة لا تطول كثيرا حتى يجد أسباب ذلك فى طبيعة ذلك العصر وظروفه التاريخية : فقد انفجرت الثورة فى فرنسا ودوت فى أرجاء أوربا دوياً اهتزت من هوله عروش ، وكان لصوتها صدى فى كل الصدور وأثر عميق فى كل النفوس ، فمن أشراف ناقمين ساخطين ، الى زراع يهللون لها ويكبرون ... ثم كانت واقعة ترافلجر فخفت ذلك الصوت الدارى ، وعزل نابليون على صخرة سنت هيلانة الصامتة الموحشة فى عرض المحيط ، وعاد (البوربون) الى ملكهم فى فرنسا ، وعاد فى ذيلهم أشراف الأقطاع يطالبون بأملاكهم ، وانتشرت فى أوربا حركة رجعية تعمل على طمس معالم الثورة والتجديد .

كم من ملايين الشباب زهقت نفوسهم عبثاً ، وكم من عامر الأرض بات خرابا بلقعاً ... فكنت لا ترى على وجه أوربا إلا آثاراً خربة وأنقاضاً هنا وهناك ، ذلك لأن الجيوش النابليونية الجرارة من ناحية ، وأعدارها من ناحية أخرى ، أخذت تروح وتجيء أكثر من عشرين سنة قضت فيها على الأخضر واليابس ، وخلفت القرى والمدائن يتابها فقر مدقع وبؤس شامل .

ماتت الثورة الفرنسية وكأنما انتزعت معها روح الحياة من أوربا ، لأن قلوب الشباب الطامح فى كل بقعة من بقاعها كانت قد صعقت الى الجمهورية الناشئة وعاشت فى ظلال الأمل الوارفة حيث أملت فى مستقبل ذهبى سعيد ، فما هى إلا أن وقعت الواقعة فى ووترلو حتى تحطمت كل هذه الآمال وتبددت بمأساة سنت هيلانه ومؤتمر فينا ، فدبت فى النفوس روح اليأس التى ملكت على الناس شعب الحياة ، وأثر ذلك فى النزعة الدينية أثرين مختلفين : أما الطبقة الفقيرة الجاهلة فقد التجأت الى الدين تجد فى كنفه السلوى والعزاء ، وأما الطبقة المفكرة فطغت على قلوبهم موجة إلحادية ، ولم تعد عقولهم تسيغ أن يكون ثمة مدبر أعلى لهذا الكون .

فأما فريق العقيدة والدين فقد اقتنع بأن هذه النكبات ليست إلا اذلالا للنفوس جزاء وفاقا بما نزعت اليه من الاعتزاز بحكم العقل وبعد العقائد وراء الظهور . وأما فريق الالحاد فقد ارتأى أن اضطراب أوربا بهض دليلا قويا على فوضى الحياة وعبثها ، وعلى رأس هؤلاء بيرون وهيى وشوبنهور .

فلسفته :

١ — العالم فكرة

يرى شوبنهور أن الوساطة الوحيدة بين الانسان والعالم الخارجى هى الحواس والمشاعر ، فأنت اذا رأيت شجرة انطبعت صورتها فى ذهنك وهذه الصورة انما انتقلت عن طريق عدسة العين ، فقد تكون مطابقة لحقيقتها الخارجية وقد لا تكون ، وقل مثل ذلك فى كل معلوماتك عن أجزاء الوجود ؛ فالصورة التى كونها ذهنك عن هذه الدنيا هى فكرة خلقتها حواسك ولا يتحتم أن يكون لها حقيقة واقعة مطابقة لها . واذن فالانسان كما يقولون دنيا نفسه ، وأن فى الوجود من الذى بمقدار ما فيه من عقول بشرية .

يخلص شوبنهور من هذا بأن الواجب الأول هو دراسة العقل قبل البدء بدراسة المحسوسات ، لأن فى دراسة العقل المفتاح الذى نصل به الى حقائق الوجود الخارجى .

٢ — العالم ارادة

يكاد يجمع الفلاسفة على أن كنه العقل وجوهره هما الشعور والفكر ، الا أن شوبنهور يرفض ذلك رفضاً ، ويقول بأن الشعور إن هو الا قشرة خارجية لعقولنا لا يعرف على وجه الدقة ما تحويه فى باطنها ، فهذا الغلاف المفكر يخفى وراءه ارادة لا شعورية ؛ لا يحمد لها نشاط ؛ ولا تنتهى لها رغبات وآمال ، وهى التى تملك زمام الانسان فى كل حركاته وأعماله . أما هذا المنطق الذى نحتكم اليه فى كثير من شئوننا ، والذى يخيل الينا أنه نابع من العقل الواعى ، هو فى الواقع ملجم بهذه الارادة الباطنة : فنحن لا نريد الشىء لأن هناك من الأسباب المنطقية ما يدفعنا الى ذلك . ولكننا نخلق الأسباب خلقاً اذا كنا نريده ارادة لا شعورية . فالأسباب نتيجة لا مقدمة !! بل نستطيع أن نذهب الى أبعد من هذا الزعم فنقول : إننا انما نخلق الفلسفات ونبتدع الديانات لنخفى فى طياتها رغباتنا الخفية .

ابحث فى كل نواحى النشاط الانسانى ، تجد دوافعه مشتقة من الارادة اللاشعورية لا من العقل والشعور . فهذا التاقس والناحر

على أسباب العيش من طعام ولذات . انما ينبع من «ارادة الحياة» التي يحظى بها كل كائن في طوايا نفسه ، حتى شخصية الفرد لا تتكون من أعماله العقلية ولكن من نزواته اللاشعورية التي يندفع اليها بارادته الخفية ؛ ومن هنا كانت الديانات على اختلافها تعد الجنة للارادة الطاهرة (أي القلوب) ولكنها لا تعترف بالعقول الكبيرة ولا تحسب لها في جناتها حسابا .

وليست سيطرة الارادة مقصورة على الحياة الفكرية بل تتعداها الى الدائرة الفسيولوجية . فارادة الحياة خلقت أوعية يجري فيها الدم . وارادة المعرفة خلقت مخا يصل الى شتى المعارف ، وارادة القبض على الأشياء خلقت الايدي ، وهكذا نشأ كل عضو بعد نشوء ارادة وظيفته ، فحركات الجسم هي في الواقع ارادات مجسمة بل الجسم كله إرادة متبلورة .

إذن فالارادة ، لا العقل ، هي كنه الانسان بل كنه الكائنات الحية جميعا ، هذه الارادة التي نتحدث عنها هي ارادة الحياة ، وليس الحياة أيا كان لونها ، ولكن «ارادة الحياة الكاملة» .

وليست هذه الارادة مقسمة بين الأفراد أعني ليس لكل فرد ارادته المستقلة تعيش به كيف شاءت ، ولكنها ارادة واحدة تتناول الحياة بأسرها كتلة واحدة وشيئا لا يقبل التجزئة . فالفرد ليس حقيقة في ذاته ولكنه ظاهرة لحقيقة ، فهو جزء من كل متماسك ، ومحتوم عليه بحكم ارادته أن يسير في طريق مرسوم حتى لا يضطرب نظام ذلك الكل المتحد . ومن هنا نشأت «رغبة التناسل» مثلا ، فهي ليست رغبة فردية ، ولكنها رغبة الحياة بأسرها وهي وحدها التي تسخر الافراد لصالحها بل ان هؤلاء الافراد هم الصورة المجسمة التي تظهر فيها ارادة الحياة .

يقول سبنوزا : لو أن حجرا ألقي في الهواء وكان لديه شعور وإدراك لظن أنه انما يتحرك بمحض ارادته الحرة وانه هو الذي يختار الزمان والمكان اللذين يقع فيهما . وما أشبه الانسان في حياته بذلك الحجر الملقى : كلاهما تدفعه قوة خارجية وكلاهما يتوهم أنه حر لا سلطان على ارادته .

نعم ، ارادة الحياة في عمومها حرة التصرف لأنه ليس هناك ارادة تحد تصرفها ، ولكن كل قالب من قوالب الحياة ، أي كل جسد مادي يدب فيه جزء من الحياة ، محدود ولا ريب بتلك الارادة الكلية سواء أكان ذلك القالب الحي نوعا أم فردا أم عضوا من فرد .

٣ — العالم شر

مادامت الارادة أساس الحياة ، فالحياة شر كلها . ذلك لأن الارادة منبت لسلسلة من الرغبات لا تنقطع . والرغبة عادة تمتد إلى أكثر مما يستطيع الانسان تحقيقه : وهكذا يظل الانسان مدفوعا في حياته بآلاف الدوافع من الآمال التي ان تحقق بعضها فمعظمها خائب فاشل ، وهو أمام هذا الفشل الذي يعتريه في كل خطوة يخطوها يستحيل عليه أن يتذوق في حياته سعادة مطلقة . ثم هو لا مناص له من هذه الرغبات التي يسوق بعضها بعضا ، لأن جوهر الانسان ارادة كما بينا ، فاذا هو تخلص من ارادته فقد تخلص من نفسه ، ولا بد لهذه الارادة أن تعيش وتتغذى . وهذه المطامع المستمرة في حياة الفرد هي الوقود الذي تخلقه الارادة لنفسها .

والحياة كلها شر كذلك . مادامت الآلام هي طبيعة مادتها التي تتكون منها ، وليست السعادة إلا حالة سلبية يقف فيها تيار الآلام . وبما اصطلحنا على تسميته بالسعادة انما هي الحالة التي ينعدم فيها وجود الألم ، أعني أن ليس ثمة سعادة ايجابية . وقد أشار ارسطو الى هذه الحقيقة بقوله ان الحكيم لا يجوز له أن يبحث عن السعادة ، بل يجب عليه أن يسعى وراء التخلص من آلامه .

وفوق هذا كله ، فالحياة شر كلها لأنها عراك دائم ، فأينما سرت صادفت تناحرا وتنافسا وجهادا . فكل نوع يقاتل في سبيل المادة والزمان والمكان .

نعم لا ريب في أن الحياة قاسية مؤلمة ، وليس يعجب شوبنهور إلا من متفائل يبتسم لهذا العالم ، ويقول لو أن أشد الناس تفاؤلا طاف بالمستشفيات والسجون وساحات الحروب ليشهد ألوان الألم والعذاب . ولو أنه رأى البؤس الذي يتوارى خجلا في أركان الأكواخ المظلمة . نعم لو أبصر هذا وذاك وما هو شر من ذلك جميعا ، لانقلب متشائما يؤوسا على الفور . وإلا فحدثني بربك من أين اشتق هاتي صورة جحيمه إلا من هذا العالم الذي نعيش فيه ، ومع ذلك فقد كونها صورة ما أهولها من صورة !! ثم انظر كيف اصطدم بمشكلة سقطت أمامها عبقريته عجزا واعياء عندما أراد أن يصور جنة سعيدة ، لأنه النفس من الحياة اجزاء الصورة التي يريد فعز عليه المثال !! .

٤ — الفلسفة

رأينا كم يدفع المرء من الشقاء ثمنا باهظا لأنفاسه ، وعلمنا أن الحياة بما تحوي من شر تجارة خاسرة لا تساوي ثمنها !! .

ولكن ألا نستطيع أن نرسم طريقا للسعادة ؟ ذلك ميسور اذا تغلب جانب العقل والمعرفة على جانب الارادة والرغبة من الانسان . فأنت عاجز عن ادراك السعادة اذا تملكت الارادة منك

(البقية على صفحة ١٥)

لمـــاذا ترجمت فرتر

« الى الصديق الذي سألني هذا السؤال وهو طريق الغربة
في سفر فأجبته عنه وهو سجين الاستبداد في كركوك »

تسألني لماذا ترجمت فرتر ... والجواب عن هذا السؤال حديث ، والحديث عنه سيكون قصة ، وليس يعنيك اليوم منها إلا ما نجم عنها :

قال (جوت) يوماً لصديقه (اكيرمان) : « كل امرئ مأتي عليه حين من دهره يظن فيه أن (فرتر) انما كتب له خاصة »

وأنا في سنة ١٩١٩ كنت أجتاز هذا الحين! شباب طري حصره الحياء والانقباض والدرس ونمط التربية وطبيعة المجتمع في دائرة ليس فيها من الواقع غير وجوده .... واحساس مشبوب يتوقد شعوراً بالجمال ، وقلب رغيب يتحرق ظمأ إلى الحب ، ونوازع طماحة ما تنفك تجيش ، وعواطف سيالة ماتكاد تتماسك ... ! فالطبيعة في خيالي شعر ، وحركات الدهر نغم ، وقواعد الحياة فلسفة ! ... وكان نهمي لكل شيء وحكمي على كل شخص يصدران عن منطق أفسد أقيسته الخيال ، وزور نتائجه المثل الأعلى . ثم غمر هذه الحال التي وصفت هوى دخيل هادىء ، ولكنه مُلِحّ ، فسحت منه في فيض سماوي من النشوة واللذة ، وأحسست أن وجودي الخالي قد امتلأ ، وقلبي الصادي قد ارتوى ، وحسي الفائر قد سكن . وتخيلت أن حياتي الحائرة قد أخذت تسير في طريق لا حب تتثر على مدارجه نواضر الورود ، وترف على جوانبه نوافح الريحان ، وتزهو على جوانبه الوان عبقر ، وترقص على حفافيه عرائس الحور ! .. ورحت أسلك هذا الطريق السحري محمولاً على جناح الهوى كأني (فوست) على جناحي (ميفستوفاليس) حتى ذكرني الزمان الغافل فأقام فيه عقبة اصطدم عندها الخيال بالواقع ، والحبيب بالخاطب ، والعاطفة بالمنفعة !! على اني بقيت على رغم الصدمة حياً ولا بد للحي أن يسير !!

تطلعت وراء العقبة انظر الطريق فاذا الأرض قفر والورد عوسج والريحان حمض ، والعرائس وحوش .

فشعرت حينئذ بالحاجة إلى الرفيق المؤنس ! ... ولكن أين أنشدها أبغي وحولي من الفراغ نطاق مخيف ، وأمامي على أسة الصخور أشلاء وجثث !! ؟ هذه أشباح صرعى الهوى تتراءى لعيني ، وهذه أرواح قتلاه تتهافت عليّ ، وهذه سجلات مصارعهم بين يدي ، فلم لا أحدو بأناشيدهم رواحلي ، وأقطع بمناجاتهم مراحلي ، وألتمس في مراجعهم لهواي عزاء وسلوة ؟؟

قرأت هيلويز الجديدة ، وربيه ، واتالا ، وأودلف ، ودوميبك ، وماريون دلورم ، ومانون ليسكو ، وذات الكيليا ، وجرازيلا ، ورفائيل ، وجان دكريف ، وتوثقت بأشخاصها صلاتي ، وتصعدت في زفراتهم زفراتي ، وتمثلت في نهاياتهم المحزنة نهايتي . ولكنهم كانوا جميعاً غيري ! تتفق في الموضوع ولكن تفترق في الوضع ، كالنساء النوادب في مناحة ، تندب كل واحدة منهن فقيدها وموضوع الأسى للجميع واحد هو الموت !!

فلما قرأت (آلام فرتر) سمعت نواحاً غير ذلك النواح ، ورأيت روحاً غير هاتيك الأرواح ، وأحسست حالاً غير تلك الحال !!

كنت أقرأ ولا أرى في الحادثة سواي ، ولا أشعر ولا أشعر إلا بهواي ، وأندب ولا أندب إلا بلوائي ، فهل كنت أقرأ في خيالي أم أنظر في قلبي ، أم هو الصدق في نقل الشعور والحذق في تصوير العاطفة يظهران قلوب الناس جميعاً على لون واحد ؟؟

كنا يومئذ في مايو والطبيعة تعلن عن حبها بالألوان والالحان والعطر ، ونفسي تحاول أن تعلن عن هواها بالدموع والشعر ، فآلامي تجيش في عيني ، وعواطفي تتزيّى على لساني ، وبلابل تتوثب في خاطري ، وكلها تطلب السبيل الى العلانية ، — والشكوى في الحب كالطفح في الحمى كلاهما عرض ملازم — فلما قرأت (فرتر) تنفس جواي المكظوم ، واستغنى عن البيان هواي المكتوم . لأني لو كنت صببت مهجتي على قرطاس لما كانت غير (فرتر) ، وهل فرتر إلا قصة الشباب في كل جيل ؟ رجل شديد الحس قوي العاطفة يتقسم الخيال ، والابديال ، نواحي نفسه ، ورجل آخر بارد الطبع عملي الفكر يعرف دائماً كيف يجر النار الى قرصه ، وامرأة بينهما يجذبها إلى الأول طبعها الغزلي وقلبها الشاعر ، ويربطها بالثاني عقلها المادي ووعدها المأخوذ ... هذا هو موضوع آلام

فرتر وهو عينه موضوع آلامي . . . فلم لا أنقله إذن إلى لغتي لينطق عن لساني ، كما ترجم صادقاً عن ضميري ؟؟

* * *

فنيت في (جوت) وقادني إلهامه وروحه ، وأهبتُ بلغة القرآن والوحي أن تتسع لهذه النفحات القدسية فأسعفتني ببيانها الذي يتجدد على الدهر ويزهو على طول القرون . ثم أصبح فرتر بعد ذلك لنفسي صلاة حب ونشيد عزاء ورُقيةُ هم !! كأنما كان (جوت) يناديها من وراء الغيب حين يقول في تقدمتيه لفرتر : « وأنت أيتها النفس . . . اذا أشجاك ما اشتجاد من غصة الهم وحرقة الجوى فاستمدي الصبر والعزاء من آلامه . وتلمسي البرء والشفاء في أسقامه ، واتخذي هذا الكتاب صاحباً وصديقاً اذا أبى عليك دهرك أو خطوك أن تحدي من الأصدقاء من هو أقرب اليك وأحنى عليك ؟؟

ا . الزيات

فلسفة شوبنهور

(بقية المنشور على صفحة ١٣)

الزمام . وأنت عاجز عن درك السعادة بالمال والجاه . وهي على قاب قوسين منك اذا أسلمت قيادك الى العقل واستطعت أن تضغط على الارادة حتى تحصرها في حيز ضئيل . ويعتقد شوبنهور أن الانجاز لا يكون في اخضاع العالم بأسره بقدر ما يكون في اخضاع الارادة .

اذن فالفيلسوف وحده هو الذي يستطيع أن يتغلب على شقاء الحياة . لأنه صورة من المعرفة غير المقيدة بالارادة . واذا استطاع الفكر أن يتخلص من قيود الرغبة والهوى أمكنه أن يرى الأشياء على حقيقتها المجردة .

فالفلسفة هي عبارة عن النظر المجرد عن الارادة . هي انكار الذات عند النظر الى مظاهر الوجود واعتبارها حقائق في ذاتها دون أن تربطها بالحياة البشرية .

٥ — الفن

نحن اذن نشد تحرير المعرفة من استعباد الارادة . نشد انكار الشخص لنفسه عند نظره للأشياء . وليس هذا المنشود الا الفن في أصح معانيه . فالفنان العبقري يحاول أن يرى الأشياء من وجهة صفاتها العامة ولا يعبأ كثيرا بالأشياء المادية التي تمثل تلك الصفات فموضوع الفن هو تجسيد الكلي العام في جزئي من الجزئيات . والصورة الفنية يجب أن تكون المثل الأعلى للشيء المصور . ومعنى ذلك أن صورة البقرة مثلا لكي تكون من آيات الفن الرفيع ، يجب أن يتجمع فيها كل مميزات هذا النوع وما يتعلق به من صفات ، كأن نوع البقرة كله قد تركز في هذه البقرة الواحدة . وصور الاشخاص يجب أن تقصد لا الى الدقة الفوتغرافية . بل الى عرض كل ما يمكن عرضه من صفات الانسان عامة في ملامح الشخص المصور . اذ الواقع أن الفنان يصور صفات . وليست الاجسام الا وسائل فقط لابراز تلك الصفات .

ولنوجز هذا في عبارة أخرى : نقول ان الصورة الفنية لشيء ما يجب أن تكون عبارة عن « المثل الافلاطوني » لذلك الشيء . وبقدر ما تقرب الصورة من ذلك المثل الخيالي تكون قيمتها الفنية .

فطربنا لجمال الطبيعة أو الشعر أو التصوير انما يصدر عن تأمل الأشياء في حقيقتها الواقعة دون أن يمتزج ذلك التأمل برجهة النظر الشخصية . فسواء لدى الفنان أن يرى غروب الشمس من قصر منيف أو من كوة في سجن مظلم .

فالفن يمحو بؤس الحياة وعللها بأن يعرض علينا صورا خالدة من وراء هذه الصور الفردية الزائلة .

٦ — الدين

واذا كانت الفلسفة وسيلة لاتقاء شرور الحياة بما تستطيعه من اخضاع الشهوة لحكم العقل ، واذا كان الفن عاملا من عوامل السعادة لأنه لا يعبأ بالأشباح المادية التي تتحرك أمامنا وانما يعنى بحقائق هذه الأشياء الخالدة . فالدين طريق ثالث يؤدي الى سعادة النفس وطمأنينتها لأنه بدوره عبارة عن اخضاع الارادة لحكمة العقل . فالصيام الذي تفرضه الأديان جميعاً يقصد منه تدريب النفس على قهر ارادتها او شهوتها .

٧ — حكمة الموت

وبعد . فما أعجب أن تكون الحياة كما هي شروراً وآلاما ، ومع ذلك تتخذ لها من أنفسنا عونا على الاعتبار والذيوع !! يصيح شوبنهور بأعلى صوته إن الحياة سر . وشر ويجب أن نقضي عليها قضاء مبرما . ولكن كيف ؟ الحل عنده بسيط وهو أن نهجر النساء هجرا جنسياً لأنهن أس البلاء بما يقدمن للرجال من فتنة واغراء . وهو يتساءل : الى متى تدفعنا الحياة أمامها دفع الخراف وهي لا تهوى الا شقاءنا وعناءنا ؟ متى نتجمع كل ما نملك من قوة وشجاعة لنصيح في وجهها إن الحياة كذبة وخدعة أن نجاة الانسان وخلاصه انما هو الموت ؟!

زكي نجيب محمود

كسوف حلقي للشمس

يقـــع في يوم ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٢

للأستاذ عبد الحميد سماحه

مفتش مرصد حلوان .

« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته »

« حديث شريف »

حسبنا أن يكون في ذلك دليل مفحم للذين يتقولون القول ويتسرعون الى الكواكب بسعادة قوم وشقاء آخرين ، وهي بريئة من هذا وذاك . ولكن أنّى لنا أن نقنعهم وفريق يتخذها وسيلة للكسب ، وفريق آخر يتخذها رجاء وسلوة .

لقد انقضى ذلك العهد الذي حسب الناس فيه أن بين الكواكب وبين الأفراد والشعوب في سعادتهم أو شقوتهم وانتصارهم أو هزيمتهم ارتباطاً . وتقدمت الدراسات الفلكية في القرنين الماضيين تقدماً عظيماً ، وأصبح في استطاعة الفلكيين أن يقيسوا درجة حرارة النجوم كما يقيس الطبيب درجة حرارة المريض ، واستبانوا أبعادها وأحجامها وأوزانها وتركيبها !

ولم تعد الظواهر الفلكية منذرة بالحروب والبلاء ، أو مبشرة بالسعادة والرخاء ، بل أصبحت تجربة علمية كبيرة تجريها الطبيعة فيستغلها العلماء الى أقصى حد فيما لا يتيسر لهم تجربته على ظهر الأرض . فهناك مثلا كثافة السديم نراها أدنى مليون مرة من كثافة أية مادة تصل اليها أيدينا بينما هي في بعض النجوم أعلى بمقدار مليون مرة من كثافة أية مادة على الأرض ! فليت شعري كيف يتسنى لنا أن نعرف طبيعة المادة من التجارب التي نجريها في المعمل ولا يزيد مدى كثافة المواد التي بين أيدينا على واحد في مليون المليون من المدى الكلي لكثافة المادة في الطبيعة ؟؟

لقد أصبح من الصعب إيجاد الحد الفاصل بين أنواع العلوم الطبيعية ؛ وتقدمت الاكتشافات العلمية وهي سلسلة الحلقات ، فمن ألكترونات أقطارها كسور من ملايين الملايين من البوصة ، الى سدائم تقاس بمئات الآلاف من ملايين الملايين من الأميال ! فكل زيادة في معلوماتنا الفلكية تزيد حتما في معلوماتنا في الطبيعة والكيمياء ، والعكس بالعكس .

لهذا كان اهتمام العلماء بالظواهر الفلكية عظيما ، فهم يستغلونها في أبحاثهم ، ويقيسون عليها نظرياتهم ، وكثيراً ما كانت الأرصاد الفلكية سبباً لاكتشافات عظيمة كان للبشرية منها نفع مادي جليل الشأن . مثال ذلك أن غاز الهليوم اكتشف أولا في تحليل طيف للشمس أثناء كسوفها في عام ١٨٦٨ . وهذا الغاز كما نعلم عظيم المنفعة لأنه الغاز الوحيد الصالح لملء المناطيد . ونحن إنما نذكر هذا الحادث العظيم على سبيل المثال للذين يزنون العلوم بمقدار ما يمكن أن تدر عليهم أو على البشرية من نفع مادي ؛ ولكن الغاية الأولى من الدراسات الفلكية هي البحث وراء الحقائق العلمية وحدها ولذاتها ، وهي غاية تدافع عن نفسها بنفسها .

لقد أصبح كل طالب يعرف أن الأرض ومثلها الكواكب السيارة الثمانية الأخرى انما تدور حول الشمس في مدارات دائرية ، وأن القمر يدور حول الأرض في مدار دائري أيضاً . وأنه اذا توسط القمر بيننا وبين الشمس حجب أشعتها عنا فتكسف الشمس ؛ ولكن يجب أن نضيف هنا أن مدار القمر حول الأرض يميل بمقدار خمس درجات على مدار الأرض حول الشمس فالثلاثة لن في مستو واحد على الدوام ، ولو لا ذلك لحدث كسوف للشمس كلما كان القمر في المحاق حيث يتوسط وتتذبين الأرض والشمس .

لقد حسب الفلكيون أن كسوفاً حلقياً للشمس سيشاهد في القطر المصري في يوم الجمعة الموافق ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٢ يبتدئ في الساعة الثالثة والدقيقة ٤٣ مساء . وينتهي في الساعة الخامسة والدقيقة ٢٩ مساء من نفس اليوم .

أجل ستكسف الشمس في ذلك اليوم ، وبين هذين الزمنين المحددين بالضبط لا محالة . ولكن لا سبيل في ذلك الى التفاؤل ولا الى التشاؤم ، فليست الشمس والقمر والأجرام السماوية المختلفة الأخرى إلا آيات بينات لأولي الألباب ؟

عبد الحميد سماحه

في الأدب العربي

العوامل المؤثرة في الادب ٩٧

١

ليس الأدب الا التعبير القوي الصادق عن مشاعر المرء وخواطره وأخيلته . وهذه تأثر بأحوال العيش وأنواع العقائد وأطوار المجتمع وأنظمة الملك وتقلبات السياسة . ومن المفيد الالمام بهذه العوامل المؤثرة في الأدب لتكون دستور المؤرخ وشريعة الأديب ونبراس الباحث فيما يصدر عن الانسان من كد الأذهان وفيض القرائح .

فمن هذه العوامل (طبيعة الاقليم ومناخ البلد) وأثرهما في حياة الناس وسلائل الأجناس معلوم في بداءة العقول . فأحوال الاقليم هي التي تنهج لساكنيه سنن معاشهم ونظام اجتماعهم . وتكون الكثير الغالب من أخلاقهم وطباعهم . ومناظره هي التي تربي ذوق أبنائه ، وتغذي خيال كتابه وشعرائه . فالشعر الجاهلي مثلا صورة صادقة لطبيعة البادية وحياة البدو : فألفاظه خشنة كالجبل ، ومعانيه وحشية كالأوابد ، وأساليبه متشابهة كالصخر ، وأخيلته جدبة كالقفر ، ولن تجد في غير الجزيرة العربية أمثال الشنفرى وتأبط شراً والسليك بن السلكة من هؤلاء الشعراء الصعاليك الذين تغنوا بحياة البادية ومناظرها وأباعرها وغزلانها وكثبانها واطلالها وجبالها بشعر متين الجبك صادق الوصف جاف اللفظ عنجهي الخيال . وقد اختلف الشعر في شبه الجزيرة نفسها باختلاف الأماكن : فهو في نجد غيره في الحجاز ، وهو في أهل الوبر غيره في أهل المدر . ولهذا العامل وحده تعزو انقراض الأراجيز وهي أقدم الأطوار لشعر البادية حين ارتحل ناظموها من الصحارى المجدبة الى سواد العراق وريفه . وفي حواشي العراق وظلاله ، وخمائل نجد وجباله ، اخضر عود الشعر واستقام وزن القصيد ومن ثم قال القدماء ان امرأ القيس ومهلهل بن ربيعة وعمرو بن قيئة هم أول من قال الشعر وأطال القصائد ، وما كانوا في الواقع الا زعماء النهضة الأدبية في هذه البلاد .

وظل عامل الطبيعة يفعل فعله في الأدب خلال القرون فخالف بين الشعر في عواصم الشرق وبينه في الأندلس . فقد وجد شعراء العرب في اوربا ما لم يجدوه في آسيا من الاجواء المتغيرة والمناظر المختلفة والامطار المتصلة والجبال المؤزرة بعميم النبت . والمروج المطرزة بألوان النور . فهذبوا الشعر وتأنقوا في ألفاظه ومعانيه ، ونوعوا في أوزانه وقوافيه ، ودبجوه تدبيج الزهر ، وسلسلوه سلسلة النهر ، وسلكوا به مسلك التنوع والتجديد . وهذا العامل هو الذي يخالف اليوم بين الأدب في مصر وبينه في الشام والعراق . فالطبيعة المصرية تكاد أن تكون نائمة : فالجو معتدل في جميع الفصول لا يكاد يختلف . وحقول الوادي الخصيب لا تعرى من الزهور والزروع ، والسماء السافرة والصحراوان الوسيعتان لا تكاد مناظرهما تتغير . فاذا لم تكن طبيعة بلادنا نائمة فهي على الأقل سالمة ، لأنها لا تزعجنا بالزلازل العنيفة ، ولا تهزنا بالعواصف الرعن . ولا تحزنا بالبرد القارس والحر اللافح . فطبعت أهلها على الوداعة والفكاهة والبشاشة والكسل والمحافظة على القديم من العادات والأخلاق والآداب فلا تتطور هذه الأمور في مصر الا بمقدار . ولذلك تجد شعرنا منذ اللفظ جيد السبك بطيء التجدد هادىء الاسلوب لين العطف لا يأخذ الأمور الا بالملاينة والرفق . بينما تجد الشعر في الشام شديد الحركة كثير التنوع سريع التجدد تلق الاساليب لتعدد المناظر واختلاف الصور وتقلب الطبيعة ونشاط الحياة . وهو في العراق قوي أبي ثائر ساخط متوثب منتشر على ألسنة الخاصة والعامة لالتهاب المخيلة وتوقد الشعور وصفاء الحس من افراط الطبيعة في الحر والبرد وغلبة الحياة البدوية على كثرة السكان .

على أن هذا العامل قد أخذ يضعف منذ أواسط القرن الماضي لسهولة المواصلات وكثرة المخترعات وانتشار المدنية ، فيستطيع الانسان ان يعيش في آسيا وافريقا كما يعيش في اوربا . وسيزداد ضعفا في المستقبل دون أن يمحى ويبيد .

ومنها (خصائص الجنس) فشعر العرب يختلف عن شعر اليونان في المذهب والخيال والغرض ، وشعر ابن الرومي يختلف عن شعر ابن المعتز وقد نشآ في بلد واحد وعصر واحد . لأن الجنس الآري أميل الى الاستقصاء والتفصيل والتحليل والتعمق ، والجنس السامي لذكاء قلبه وحدة خاطره يفهم الشيء في لحظة ، ثم يلخصه في لفظة ،

نهو أميل الى التعميم والاجمال والبساطة .

ومنها (دوام الحرب بين جنسين أو أمتين لفتح بلاد أو صد عاد أو تحرير وطن) . فان هذه الحروب تتمخض عادة عن أبطال ينمون فى الخيال ، ويعظمون فى الصدور ، ويكبرون فى الزمن ، حتى تنسب اليهم الخوارق . وتخلع عليهم المحامد ، فتسير بذكرهم الرواة ، وتتحدث بأفعالهم القصاص . وتنقل شهرتهم من فم الى فم ومن جيل الى جيل ، وهى فى خلال ذلك تتسع وتفيض حتى تصبح سميرهم لدى الشعب حديثاً وطيباً يجب أن ينتشر ، وتراثاً قومياً يحرص على أن يزيد . فيفيض الله لهذه السير المتجمعة على طول الدهور شاعراً سمح القريحة فينظمها بأسلوب شائق ونمط جميل ، كذلك دارت الالياذة الاغريقية على حروب اليونان لأهل طروادة . ومهابهاراته الهندية على الحرب التى نشبت بين بندو وبنى كرو ، والشاهنامة الفارسية على تاريخ الاكاسرة ووصف الحرب التى اشتعلت بين أهل ايران وأهل طوران ، وقد كانت تلك الحروب مفخرة الفرس الاولين ورمزاً للخلاف الدائم بين الهى الخير والشر ، وكذلك دارت أغانى رولان الفرنسية على حروب الفرنج لعرب الأندلس . وهذا هو الشعر القصصى Epique أو الملاحم Epoupée الذى خلا منه الشعر العربى لأسباب لا يتصل ذكرها بموضوع اليوم » . على أن عامل الحروب قد أثر فى النثر العربى والشعر العامى وان لم يؤثر فى الشعر الفصيح . فان نشوب الحروب الصليبية قد اقتضى تدوين بعض القصص الحماسية كقصة عنترة وسيرة بنى هلال والأميرة ذات الهمة إثارة للنفوس وتحبيباً للشعب وتفريجاً من الهم .

ومنها — طبيعة العمران وتوزع الثروة وما يتصل بذلك من حال الاجتماع — فان تقدم الحضارة ورخاء العيش ونماء الثروة تؤثر فى الذوق ، وتزيد فى الصور : وتساعد على نشر العلوم ، وتنوع فى معانى الشعر وأساليب الكتابة . وشاهد ذلك أن مدن الحجاز حينما زخرت بالمال ونعمت بالفراغ منذ خلافة عثمان الى أواخر القرن الاول للهجرة تدفق أهلها فى اللهو وعكفوا على الغناء وألفوا أزمتهم فى يد الصبابة . وانقطع شعراؤها الى الغزل فاقتنوا فيه وتصرفوا فى معانيه وأغفلوا سائر أنواع الشعر الاخرى كعمر بن ابى ربيعة وجميل بن معمر وكثير عزه . وشاهد آخر على تأثير الاحوال الاجتماعية فى الفنون الادبية هو شيوع البناء والفحش فى شعر بعض البغداديين على عهد الرشيد والمأمون . فقد حدث شىء من ذلك فى الجاهلية وفى العصر الاموى حين كان الفرزدق وجرير ومن لف لفهما يتجاوبون بالفحش ويتهاجون بالبذاء ، الا ان ذلك لم يكن مقصوداً لذاته ، وانما كان يقال هجاء للعدو وسباباً للخصم . اما الفحش فى شعر أبى نواس ومطيع بن اياس وحسين الضحاك وابن سكرة الهاشمى وابن الحجاج فقد كان صادراً عن خلق وناقلا عن طبع ومعبراً عن حالة . فالشعراء يقولونه ويفعلونه ، وأهل البوتات وذوو المكانة يسمعونه ولا ينكرونه . فما دا بعد ذلك الفساد الذى نال الطباع العربية الحرة فجعلها تمتهن الكرامة وتلغى شعار الحشمة ؟ ؟ اذا علمنا بفساد الترف حين تطغى الحضارة ويثور البركان هذا التعليل وحده غير فاصل ولا مقنع فان أكثر أمم المدن الحديث اليوم قد غرقوا فى اللهو وشرفوا بالنعيم وامعنوا فى الخلاعة ، ثم لا تجد الروائع من شعرائهم وكتابهم يجرأون على ان ينعوا على أنفسهم بالفواحش أو يجهروا فى كتبهم بالفضائح . وناهيك بما حدث لفكتور مرجريت حين نشر قصة لاجرسون .

أنما الاشبه بالحق ان هناك سبباً آخر يساعد هذا السبب وهو كثرة الرقيق . وتأثير الرقيق انما حدث من جهتين : اولاهما قيام العبيد على تربية الاحداث فى كرائم الاسر ، وفى كثرة العبيد دناءة فى الطباع ووقاحة فى القول فافسدوا الناشىء وعودوهم هجر القول وفحش الحديث ، وأخراهما اقحام الجوارى والسرارى خدور العقائل فاعدينهن من أخلاقهن بالمجانة . فسقطت المرأة من عين الرجل فاخذها بالعنف وضرب عليها الحجاب وأقام عليها الحصية على عادة الفرس وانتهاها عن تربية الولد وتدبير البيت واتخذها للمتاع واللذة ، فكان من ذلك ان نشت فى الخاصة اخلاق العبيد والاماء فتادروا بالفحش وأكثروا الشعر فى الاحماض والمجون(١) وإليك شاهدا آخر على تأثير الاحوال الاجتماعية والامور المادية فى فنون الآداب : ظهر ادب العامة أو الشعر باللغة العامية فى بغداد والاندلس فى عصر واحد ، ففى بغداد ظهر الموالياء على لسان صنائع البرامكة من العامة ، وظهر نوع آخر ذكره ابن الاثير صاحب المثل السائر قال : (بلغنى ان قوما ببغداد من رعاع العامة يطوفون بالليل فى شهر رمضان على الحارات وينادون بالسحور ويخرجون ذلك فى كلام موزون على هيئة الشعر وان لم يكن من بحار الشعر المنقولة عن العرب ، وسمعت شيئا منه فوجدت فيه معانى حسنة مليحة وان لم تكن الالفاظ التى صيغت بها صحيحة) ولكن الشعراء والادباء استخفوا به واحتقروه فلم يقلدوه ولم يدرنوه

(البقية على صفحة ٢٥)

(١) وهناك سبب ثالث لكثرة شعر الهجو فى هذا العصر هو أن الشعراء ما كانوا يجدون أشعارهم تنشر كدأبنا اليوم وانما كانوا يتلونه فى مجالس العامة فتلذبه الآذان ويدونه المولعون فلو انهم كانوا يكتبون للنشر لتحرجوا من أكثر المنكر .

من طرائف الشعر

تطور فى الجمـــاد

للشاعر الفيلسوف جميل صدقى الزهاوى

ما حياة قديمها غير باد ... لك الا تطوّر فى الجماد
انها تبتنى لها فى نظـــام ... كل ما يقتضى حاجها من عتاد
واذا ما الجماد رثّت قواه ... ذهبت كلها الحياةُ بداد
وهى ليست اذا نظرتَ اليها ... فى جميع البقاع غير جهاد
ولقد يهلك الذى يتوقّى ... ولقد لا يعيش أهلُ الحياد
ولدتها الأرضُ الكريمة بكرا ... وسقتها السماء درّ العهاد
ليس منا الاجساد بالروح تحيا ... انما يحيا الروحُ بالأجساد

.....

انما الأرض وهى ما نحن نسعى ... فوقه بين رائح أو غاد
كوكب مظلم يطوف من الشمـ ... ـس حثيثاً بكوكبٍ وقاد
كفراش يدور حول سراج ... واهج ما لزيته من نفاد
وعلى وجهها نهارٌ وليل ... فهى لا تستغنى عن الأضداد
كلُّ ما فى الوجود فهو لعمرى ... من نواميس الكون فى أصفاد
ولعل الزمان فى دوره يجـ ... ـمع بين الآزال والآباد

.....

وكأن المجرّ نهرٌ مديد ... وردته من النجوم صواد
وكأن الوجود فاض على الشط ... ط فين اذ عبّ سيله فى الوادى
ويراه الحجا شموساً تُنادى الـ ... ـبحر فى لا نهاية الابعاد
وأحاطت بما هنالك أسرا ... رٌ لعينى تجللت بسواد
من شداد الغرض فيها بحار ال ... عقل والعقل بعض تلك الشداد

.....

جل كون قد حُفّ باللاتناهى ... عن شبيه له وعن أنداد
أترى أن ماله قِدَمٌ فى ال ... كون ذو حاجة الى إيجاد
عالمٌ يختفى وآخر يبدو ... والذى يختفى عتادُ البادى
وفسادٌ يجىء من بعده كو ... ن وكون يجىء بعد فساد
ليس موت الآباء إلا ضماناً ... لحياة الأبناء والأحفاد

.....

أنا فى جوهرى قديم على الأر ... ض وإن كان حادثاً ميلادى
أنا جزء من عالم ماله من ... آخر ينتهى به أو نفاد

ليست الأرض غير قبر مُوارٍ ... لرفات الآباء والأجداد
قل لمن طال فى التراب كراهم ... هل لكم يقظة وراء الرقاد؟
غيّر الدهر كلّ عضو بجسمى ... غير قلب فى الحبّ لى هو هاد
لم تكن منّ الصبابة فى شىء ... غير حتى غير جمرة فى الرماد
ولقد حاقت فى المصائب تترى ... من أناس عاشرتهم فى بلادى
ولمن فى حياته خالط النا ... س كثيراً أحبّـــة وأعاد

.....

أى ذنب لى إن تباعدت الشقـ ... ـقة بين اعتقادهم واعتقادى؟
كلما خالف الجماعة فى الرأ ... ى جرى رموه بالالحادا
ثلة منهم العيون ترينى ... ما تكنّ الصدور من أحقاد
عدّنى ان أردتَ فى سعداء ال ... قوم أو عدّنى من الأنكاد
انى فى جميع ما أنا آتٍ ... مُكرَه ليس فى يدىّ قيادى
أنا هذا ولستُ أقوى على تغـ ... ـيير ما فى خلقى أو استعدادى!

.....

أنا بالشعر وحده متسلٍّ ... انه كلُّ طارفى وتلادى
واذا وافتـــه المنيّة قبلى ... فاحفروا حفرة له فى فؤادى
واذا متُّ قبله فهو يرثيـ ... ـنى لو ظل حافظا لودادى

.....

أيها الناقد المهين لشعرى ... أنت ما بالتزيه فى النُّقّاد
لا تحقر بنات فكرى فتلكم ... كلُّ ما قد خلّفتُ من أولاد
حان ذاك اليوم الذى ليس تورى ... فيه ناراً اذا قدحتُ زنادى
ما ألذ الحياة لو هى دامت ... غير أن المنون فى بالمرصاد!
حبذا عهدٌ سالف لم أكن فيـ ... ـه لغـــير الجمال بالمنقاد!

مزايا الحجـــاب

للدكتور محمد عوض محمد

رُويداً! أتحزن أم تطربُ؟
فَدِى قصةٌ شأنها أعجبُ:
فتاة من الزنج تهوى الرجالَ
وعنها رجال الورى ترغبُ
قضت زهرة العمر تبغى الخليلَ
فما جاءها خاطبٌ يخطب

وقد صدّ عنها وَوَلى الفِرارَ
شَبابُ بنى الزنج والأشيبُ
ونَفَّر منها بنى جنسها
مُحَيًّا لها كالحٍ مُرْعِب
وصوت وليس كصَوْت الكنار ،
ولكنه البوم إذ تنعب
وأنفٌ مَناخِرُه كالجِفَان
ذباب الملا حوله تلعب
ومِن مِشْفَرٍ فوقه مِشْفَر
كعقربةٍ فوقها عقرب .
....
وإذ بِنْت من بنى قومها
وعزّ لها فيهم المطلبُ
أتت أرض مصر ملاذ الغريب
وحيث لكل امرىء مهربُ
وألقت عصاها وقالت : « هنا
سأسعى لادراك ما أرغب ،
وقد أعجبت بنظام الحجاب
وما فيه من حِكَمٍ تُعْجِبُ
فقالت : « حمدتك ربّ الورى ،
لأن الوجوه هنا تحجب
وَيَسْدُلُ كل النساء النقابَ
اذا ما رقيب أتى يرقب
فلا يعلم الناس ما تحته
أظبيٌ من الغيد أم ثعلب
وهل وجهها مشرق فى النقا
ب أم غيهب فوقه غيهبُ ؟
وهل ساقها فوقها جَوْرب
أم الجلد من طبعه جورب ؟
وما لا تراه عيون الأنام
فأنفسهم نحوه تجذب . »
....
وقد صدقتْ ! فرآها فتىً ،
وأقبل من خلفها يدأب
رآها فأعجبه قَدُّها
وقد يسحر القدُّ أو يخلب . !
....
فقال لها : « ياحياتى : ارحمى
فتى صادق الحب ، لايكذب . »
فكان السلام وكان الكلام ،
وكان القران وما يعقب
....
وراجت بضاعتها وانثنت
ومُجْذِبُها مُمْرِعٌ مخصبُ . . .
وكم سلعة كسدت سوقها
وفى أرض مصر لها طُلّبُ !!

لِقـــاء !!

للشاعر الشاب على محمود طه المهندس

طال انتظارك فى الظلام ولم تزل ... عيناىَ ترقب كل طيف عابر
ويطير سمعى صَوْب كل مُرِنَّةٍ ... فى الأفق تخفق عن جناحىْ طائر
وترفُّ روحى فوق أنفاس الربا ... فلعلها نَفَسُ الحبيب الزائر !
ويخفُّ سمعى إثر كل شماعة ... فى الليل تومض عن شهاب غائر
فلعلَّ من لحظات ثغرك بارقٌ ... ولعلها وضح الجبين الناضر !
ليلٌ من الأوهام طال سهاده ... بين الجوى المضنى وهجس الخاطر
حتى اذا هتفتْ بمقدمك المنى ... وأصختُ أسترعى انتباهة سائر
وسرى النسيم من الخمائل والربا ... نشوانَ يعبق من شذاك العاطر
وترنم الوادى بسلسل مائه ... وتلت حمائمُهُ نشيدَ الصافر
وأطلّت الأزهار من ورقاتها ... حيرى تعجّبُ للربيع الباكر
وجرى شعاع البدر حولك راقصاً ... طرباً على المرج النضير الزاهر
وتجلّتْ الدنيا كأبهج ما رأتْ ... عينٌ وصورها خيال الشاعر
ومضتْ تكذبنى الظنون فأنثنى ... متسمعاً دقات قلبى الثائر
وإذا بناف الروض تملأ خاطرى ... سحراً وأملأ من جمالك ناظرى !
متعانقين على الزهور ونحن فى ... شكٍّ من الرؤيا وحلم ساحر
غبنا عن الدنيا وغابت خلفها ... صور لماض لايغيبُ وحاضر

(البقية على صفحة ٢٢)

في الأدب الشرقي

الادب الفارسي والادب العربي

للدكتور عبد الوهاب عزام

الاستاذ بكلية الآداب

٢

ولا نسى بعد - أن اللغة الفارسية بقيت لغة الدواوين المالية في ايران حتى زمان عبد الملك بن مروان .

ولا ريب أن اللغة الفارسية بقيت لغة التخاطب في ايران بين العامة على الاقل، ولاسيما في القرى والنواحي البعيدة، فانا قد وجدناها منذ القرن الرابع ترتقي الى أن تكون لغة آداب ؛ واللغة لا تموت جملة واحدة ولا تخلق جملة واحدة على أن كثيراً من الدلائل يثبت انها كانت لغة الكلام في هذه الفترة أي قبل عصرها الادبي الحديث . وقد انتقلت منها كلمات كثيرة الى البلاد العربية مع النازحين من الفرس وتأثرت بها لهجات بعض العرب .

فرحل عبد الملك بن مروان الى المختار بن أبي عبيد حينما جاءوا معسكر ابن الاشتر لم يسمعوا كلمة عربية ، وعبد الله بن زياد وهو أمير عربي كانت فيه لكنة فارسية (أخذها من زوج أمه) — والفرس الذين عرفوا العربية لم يخلصوا من لغتهم ولهجتها — وقد روى الجاحظ أن الحجاج قال لنحاس فارسي : أتبيع الدواب المهية من جند السلطان ؟ فقال : «شريكاتنا في هوازها وشريكاتنا في مدائنها وكانجي- تكون». قال الحجاج : ويحك ما تقول ؟ فقال بعض من كان اعتاد سماع الخطأ وكلام العلوج بالعربية حتى صار يفهم مثل ذلك : يقول : شركاؤنا بالاهواز والمدائن يبعثون الينا بهذه الدواب فنحن نبيعها على وجوهها . وأبو مسلم الخراساني على فصاحته التي جعلت رؤبة ابن العجاج يقول ما رأيت أعجمياً أصح منه — كان لا يستطيع النطق بالقاف — وقد روى المؤرخون أن ابراهيم الامام حينما أوصى أبا مسلم قال له : وان استطعت ألا تبقي في خراسان لساناً عربياً فافعل — مما يدلنا على أن لغة الجمهور هناك كانت فارسية . ونجد الشاعر العماني يتملح بذكر الألفاظ الفارسية في مدائح الرشيد

ويحدثنا الجاحظ أن لغة أهل البصرة بل لغة أهل المدينة كان بها كثير من الكلمات الفارسية في أيامه، مما يدلنا على بقاء الفارسية وتأثيرها البعيد . ويحدثنا أيضاً أنه سأل خادماً له الى من أرسل هذا الغلام ؟ فقال الى أصحاب السند نعالنا يعني النعال السندية.

وأمثال هذا في كتب الأدب كثيرة . ولأمر ما ثار النزاع منذ أيام أبي حنيفة على قراءة القرآن بالفارسية . ثم بابك الخرمي كما يؤخذ من الفهرست كان لسانه متعقداً بالأعجمية، و (بهآفريد) الفارسي المتنبي على عهد أبي مسلم لما أراد أن يضع لأتباعه كتاباً وضعه بالفارسية . وأنتم تعلمون ما دخل العربية من الفارسية لا سيما في أسماء الطعوم والاثاث . هذه جملة تثبت أن اللغة الفارسية لم تمت في هذه الفترة ان كان هذا في حاجة الى الاثبات .

وأما الفرس أنفسهم فقد خلطهم الفتح والاسلام بالعرب، أي خلط، فالقبائل العربية انتشرت في الأرجاء الفارسية ، والفرس انتقلوا الى البلاد العربية أسارى أو مهاجرين طلباً للرزق أو العلم أو المناصب. فالمدينة على تأبيها كان بها فرس، وهم قتلوا هنالك عمر وسعيد بن عثمان بن عفان .

وسرعان ما تعلم الفرس العربية وشاركوا في العلوم الاسلامية. ولكن كان للفرس قبل قيام الدولة العباسية حال تختلف عن حالهم بعدها كل الاختلاف.

كانت دولة الأمويين عربية وقليل من غير العرب من سموا فيها الى الدرجات العالية ، وكان العرب، لأنهم أصحاب الدين والدولة ولأنهم الذين أقاموا الملك ونشروا الدين ، يرون أنفسهم أجدر بالرياسة وأولى بالشرف على ما كان فيهم من الاعتداد بأنفسهم والفخر بأنسابهم منذ أيام الجاهلية . فسخط الفرس من أجل ذلك عليهم ، ولكن الفرس لم يكونوا قد أفاقوا من دهشة الفتح الاسلامي ولم يكونوا قد تمكنوا في الاسلام واللغة وامتزجوا بالعرب امتزاجا يمكنهم من منافسة العرب ، وما كان العرب قد ضعفوا وتغيروا وتفرقوا في الأقطار . بقي الفرس ساخطين فاستعان بهم الثائرون

على الأمويين ، فكانوا عونا للمختار بن أبي عبيد ولعبد الرحمن بن الاشعث . فكان جيش المختار من الموالي إلا قليلا . وقد غلب العرب عليه اذ استعان بالعتقاء من الموالي ثم أعطاهم حظهم في الغنائم . ولما قال رسل عبد الملك لابن الاشتر : أجئت تقاتل جيوش الشام بهؤلاء ؟ أجاب ما هؤلاء إلا آباء أساورة الفرس .

واذا نظرنا الى أن جيش المختار كان أول من ثأر للحسين بن علي وقتل من قتله عرفنا أحد الأسباب التي جمعت بين التشيع والفرس منذ أمد بعيد . فقد كان العلويون والفرس سواء في كراهة الامويين فتحابوا .

جاءت الدعوة العباسية وقد تهيأت الأسباب لأخذ الفرس مكانهم في الأمة الاسلامية فكانوا أخلص دعاة هذه الدولة واليهم يرجع الفضل في إقامتها . وقد رأى نصر بن سيار في هذه الدعوة خطرا على العرب والاسلام فقال فيما قال :

نعزي عن رحالك ثم قولي على الاسلام والعرب السلام

كانت الدعوة العباسية خليطا من الدين والعصبية القارسية فابو مسلم كان فارسيا ومسلما غيورا مخلصا . وقد أسلم من أجله كثير من دهاقين الفرس . وهو الذي قتل المغني الفارسي سمر (به آفريد) حين انتهز فرصة الدعوة فقام يحيي الزردشتية . وكان أبو مسلم قد دعاه من قبل فأسلم وسود . هذا المزج يتمثل حتى في تسمية أهل خراسان الرماح التي خرجوا بها لنصرة العباسيين : كافركوب ـ أي مضارب الكفار فهو اسم مركب من كلمة عربية متصلة بالدين ومن كلمة فارسية . ومما يتمثل به هنا قول بعض الشعراء :

ولهى وقع الاسنة والقنا ، وكافر كوبات لها عجر قفد
بايدي رجال ما كلامي كلامهم يسمونني مرداو ما أنا والمرد ؟

ومهما يكن فلا أحال البيروني قد أخطأ حين سمى الدولة العباسية « دولة خراسانية شرقية » .

كان للدعوة العباسية وما عقبها من قيام الدولة ـ نتائج كثيرة . وانما يعنينا منها ما يتعلق بالفرس . فقد انتعشت الآمال في نفوسهم . ومكنت لهم في الدولة وخلطتهم بالعرب خلطا تاما ـ وكان من مظاهر هذا الانتصار في بلاد الفرس ظهور دعوات دينية جديدة وثورات : (به آفريد) انتهز الفرصة لوضع دين قريب من الزردشتية . فاعجله أبو مسلم وقتله . وقد أعجب الفرس بأبي مسلم أيما اعجاب . فلما مات أنكر المسلمية موته وقالوا انه اختفى وسيجيء مهديا من بعد ـ ومنهم من قال انه نبي بعثه زردشت وإنه لم يمت كما لم يمت زردشت . وقد دعا الى هذا داعية في بلاد الترك يعرف باسم اسحاق الترك ولكنه فارسي . وقام صديق من أصدقاء أبي مسلم استهواه يقول : ان أبا مسلم اختفى في صورة حمامة بيضاء . ثم بعلن أنه سيذهب لهدم الكعبة انتقاما لصديقه ، وقد جمع حوله زهاء مائة الف ولكن ثورته لم تطل طويلا ـ وتلت ذلك ثورات يوسف البرم والمقنع الخراساني وعلي مزدك ، وبابك الخرمي ، وأكثرها مصحوب بذكرى أبي مسلم . ثم جاء القرامطة وفعلوا ما فعلوا وكان منهم ابن أبي زكريا الذي شرع لهم أن من أطفأ النار بيده قطعت يده ، ومن أطفأها بفمه قطع لسانه وهذا من أثر الزردشتية . كل هذه مظاهر تحتاج الى شرح واستقصاء ، ولها دلالتها على بقايا العصبية الدينية والجنسية في نفوس الفرس .

هذا في بلاد الفرس . وأما أثرهم في سياسة الدولة وفي حاضرة الاسلام بغداد فقد كان للفرس الرجحان على العرب عند الخلفاء منذ قيام الدولة . وقد بلغ الأمر غايته حين تنازع الأمين والمأمون . فكان المأمون في مرو من أقصى خراسان أشبه بخليفة فارسي . وقد أعانه الفرس على حرب أخيه الذي كان يعتز بالعرب .

وروى أن أول شعر فارسي نظم في مدح المأمون كان إذ ذاك .

فلما غلب المأمون تمت الغلبة للفرس ، ثم استمروا مسيطرين على الخلفاء حتى أذيل منهم لاتراك المعتصم : حتى إذا قامت الدول الفارسية ملك بنو بويه بغداد الى أن كان طور السلطان التركي فأذيل منهم للاجئة .

ساس الفرس الدولة على قواعد الساسانيين ، وقلد الخلفاء وغيرهم الفرس في ملابسهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم ؛ أمر الخليفة المنصور أن تلبس القلنسوة الفارسية ، واتخذ هو ومن بعده الحلل المذهبة على الأساليب الفارسية ، وقد أبقى الزمن من تقود الخليفة المتوكل ما يظهر هذا الخليفة في مظهر فارسي كامل ـ ومن الكلمات الجامعة في هذا ما قاله المتوكل حين أراد اصلاح السنة المالية ورد النيروز إلى مكانه من العام فاحضر الموبذ ليستعين به . فقال الخليفة قد كثر الخوض في ذلك ولست أتعدى رسوم الفرس . وسأله رأيه في الاصلاح .

« تتبع . . . »

لقـــاء !!

(بقية المنشور على صفحة ٢٠)

حتى اذا حان الرحيل هتفتُ بي ، فوقفتُ واستبقتُ خطاكِ نواظري
وصرختُ بالليل المودع باكياً ، والدمع يشفع لي وأنت مغادري
ياليتنا لم نصح منه وليتنا ، ما أيقظته رحى الزمان الدائر !

ولقد أتت بعدُ الليالي وانقضت ، وكأننا في الدهر لم نتزاور
بدلت من عطف لديك ورقة ، بحنين مهجور وقسوة هاجر
وكأنني ما كنتُ إلفك في الصبا ، يوماً ولم تك في الحياة مناصري
ونسيت أنتَ ، ومانسيتُ وإنني ، لاعيش بالذكرى ، لعلك ذاكري !

الخـــلاص

للشاعر الهندي رابندرانات طاغور

من كتاب ظهر حديثا بعنوان «الزورق الذهبي»

ترجمة الأستاذ عبد المسيح وزير

الاستاذ عبد المسيح وزير أحد كتاب العراق المقلين الذين يتحرون تصوير الحقائق الحقيقية بدقة ولذة . وهو المترجم العربي لرواية الشاعر العراقية ، وصاحب الأثر الخالد «مستشفى المجانين» الذي يعتبر أكثر الصحف الأدبية والفنية والاجتماعية انتشارا في العراق والأقطار العربية

تجلس العاشقة المنكوبة في حجرتها الى حديقة أزهار تتفتحت عن رائع زهورها . فتجعل لمعشوقها الراحل تمثالا من طين يبرز رويداً رويدا في شبه الصورة المحفوظة في ذاكرتها .

تتفرس في التمثال ثم تحدق إلى الماضي فيجول الدمع في عينيها.

وفي كل يوم يزيل ظل متكاثف يكتنف الصورة المنقوشة في لوح قلبها . فالرسم الذي كانت تراه بالامس بارزاً جليا تلفيه اليوم متضائلا مرهاً . وكما تطبق الزنبقة وريقاتها ليلا تسدل العاشقة الستار على ذكرى غرامها .

تثور سورة غضبها على نفسها . وياخذ الخجل مأخذه كله منها . فتعمد إلى التقشف . فتعيش على الثمار والماء . وتنام على أديم الارض .

وكلما دنا التمثال من الكمال بعد عن شبه الصورة المكنونة في ذاكرتها . ويخيل إلى العاشقة أن ذلك التمثال لا يشبه صورة انسان على الارض . ولكنها تخدع نفسها فتحسبه شبه الحبيب الذي فقدته إلى الابد .

تعبد التمثال مع عبادتها الزنابق . وتوقد حوله سرجا مصوغة من ذهب . فيعبق المكان بالرائحة المنبعثة من زيت السرج . وتتناثر الازهار والشموع يوما فيوما حول التمثال الى أن يختفي .

يتقدم اليها طفل ويقول : « نريد أن نلعب ههنا »

— « أين ؟ »

— « بجانب دميتك »

فتجيبه قائلة : « لن أسمح لقدم بالدنو من هذا المكان »

ويقول طفل آخر : « نريد أن نقطف بعض أزهارك »

— « أي أزهار تريدون قطفها ؟ »

— تلك الزنابق القريبة من الدمية الكبيرة »

فتقول له : « لن أسمح ليد بمس تلك الازهار »

ويطلب اليها طفل آخر قائلا : « أخرجي ذلك السراج وأنيري سبيلنا » . فترفض طلب الولد بقولها : « لن ينقل ذلك السراج من مكانه »

يتوافد الاطفال عليها أفواجا أفواجا . فتصت الى هتافهم وتشهد توثبهم في مرحهم وجذلهم . فتستغرق في التأمل هنيهة . ثم تنتبه من غفلتها مذعورة فتورد وجناتها خجلا

بعد ذلك يفتتح معرض في المدينة المجاورة

فيزورها شيخ طاعن في السن ويسألها قائلا :

« ألا ترافقيني أيتها الحبيبة ! الى المعرض ؟ »

« اني لا أستطيع ذلك »

وتسرع اليها فتاة تناديها قائلة : « هلمي بنا الى المعرض ! »

« لا أتمكن من مرافقتك . لاني لا أستطيع الاستغناء عن لحظة أقضيها في سبيل ذلك »

ويمسك طفل بهدب ثوبها متوسلا اليها بقوله : « خذيني معك الى ذلك المعرض العظيم » .

ولكنها لا تستطيع الانقطاع عن تأمل منية قلبها طرفة عين .

وفي جنون الليل تسمع صوتا كهدير الرعد . لان مئات الزوار وألوفهم يجوزون القرية في طريقهم الى المعرض .

وعندما تفيق من نومها يسكت وقع أقدام الزوار تغريد الطيور . فتشعر برغبة في الذهاب الى المعرض ، ولكنها تتذكر آنئذ أنها لا تستطيع ذلك . اذ ليس في وسعها أن تهمل عبادة الهها — صنم عشيقها الراحل — يوما واحدا .

وفي الصباح تبكر مسرعة الى الحديقة .

فأين الصنم . ياترى ؟

يمر الزوار زرافات بالقرية وقد عفا أثر الحديقة واختفى الصنم . أما سيل الرجال والنساء الجارف فلا يقف لحظة عن جريانه ،

تناجي نفسها في لهف قائلة : « أين حبيبي ؟ »

فيهمس في أذنها هامس قائلا : « هو بين عابري السبيل هناك ! »

وفي هذه اللحظة ذاتها يتقدم اليها طفل ويقول لها : « خذيني معك »

« إلى أين ؟ »

« ألست ذاهبة الى المعرض »

« بلى . اني لذاهبة »

فتجوز حديقة الازهار وتنضم الى قافلة الزوار . لانها وجدت فقدها المنشود بين الاحياء .

في الأدب الغزلي

القرية المهجورة

للشاعر اوليفر جولدسمث

«أوبرن» ياجنة في سفح وادينا يانفحة السحر من فردوس ماضينا
حيث السعادة للحصاد (١) عافية تشد منه ، وخيرات أفانينا
وحيث تبدو بواكير الربيع بها غيسا قبل أن تغشى الباتينا
وحيث يخلف فيك الصيف بهجته زهرا يرف ، وأطيارا تغنينا

معاهد كنت أغشى في عرائشها ثرى بُلهنية (٢) قد طاب أردانا
مقاعد من شباب كله مرح سقيت فيها الهوى والسحر خلصانا ،
جررت ذيل شبابي في خمائلها تيها ، ومايت فيها اللهو ألوانا
حيث السعادة فيها وهي وادعة تعز من كل شيء فوقها هانا

لكم وقفت لأستملي مناظرها واملأ العين سحرا جد مختلس
أشاهد الكوخ في أظلال أيكته والجدول العذب يجري غير محتبس
وألمح البقعة الزهراء مشرقة من سفح راية في دجنة الغلس
أصغي إلى الليل والطاحون صاخبة والطير تشدو بصوت ناعم الجرس

هناك في دغل هذا الدوح كم أنست فيه الطفولة مغنى من مغانينا
كانت مطاف الهوى في طيب عزلتها حينا .. وكانت مطافا للأسى حينا
كم حل النعم من أطرافها عبقا تساجل الشيب أو همس المحيينا
ولم حمدنا ليوم اللهو مقتدمه فيها لنحيي بها أصفى لياليا

يوم ترفه عنها النفس مالقيت من المتاعب في رفق وإبطاء
ويجمع الحاصدون الغر شملهم في ظل فيئة الأغصان فرعاء
تحوطهم حلقات من شبابهم فيرقصون على المزمار والناء
يتاجزون من الألعاب أنوعها ، والشيب يلحظهم لحظات إغراء

وإن يمل من الألعاب صحبتهم استأنفوا طارفا في اللهو وانعمروا
كل يتافس في صبر وفي جلد رفيقه - ليقال الغالب الظفر

وكي تداول في الآفاق سيرته ويشهر الحي ماأبدى فيشتهر
قد استخف بما يلقاه من تعب والترب يعلو جبينا منه والعفر

بينا ترى سامرا في القوم معتطا يروي النكات لهم والكل مبتهج
يتلو عليهم طريفا من نوادره حلوا يكاد مع الأرواح يمتزج
ورب ساجية الأجفان فاتنة ظلت ترانيه منها أعين دعج
وتفهم الأم ماترمي فتحدجها حدج الملامة في صمت فتزعج

آها لعهدك ، ياأوبرن ، أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا
هذي المفاتن كانت في ترادفها توحي إلى قلب أهليك الهوى الشغفا
على خمائلها فاضت مراتعها سحرا - ورفت على أدغالها طرفا
مفاتن ! أذوت الأيام بهجتها وصيرتها - الليالي - للبلى هدفا

«أوبرن» أين تولت من معانيك هذي الملاهي وفرت من روابيك؟
لقد تمشت يد العافي عليك فلم ترحم قلوب الحزاني من أهاليك
وقد علاك شحوب من تعسفها ووحشة قد تمشت في مراعيك
بأي حكم زمان صار يحكمها فرد - وكانت تراثا في أواليك

كانوا جميعا - فأمسى جمعهم بددا والربع أقوى - وكان الربع مأنوسا
والسهل لم يبق فيه بعد نضرته إلا بقية زرع كان مغروسا
والجدول العذب لم نبصر تألقه كما عهدنا - وفيه اليوم معكوسا
لكن سرى وهو بالأعشاب مختنق يشق مجراه بين الغاب محبوسا

وفي مفارجك الخضراء حل بها ضيف غريب من الأدغال قد هتفا
هذا هو الرخم يبني وكر دوبري مستمكنا في ذرى الأغصان مشرفا
وفي طلولك تدوي اليوم ناعبة تنعى بصوت كئيب ماضيا سلفا
آها لعهدك ياأوبرن أذكره وكيف تنفع ذكرى تبعث الأسفا

هذي خمائلك الخضراء ذاوية حانت مباهجها ، دالت دواليها
توانبت فوقها الأعشاب هائشة والحقل أصبح ضيفا راعيا فيها
واليوم أهلك في خوف وفي وجل من بطش منفرد الأحكام طاغيها
قد بدلوا عيش أرض غير أرضهم وبدلوا ود أهل غير أهليها

تتبع . . . . م . ع . الهمشري

(١) أصل هذه الكلمة Swain وسمعناها فلاحو لكنا لم نجد في اللغة العربية لفظة مرادفة لها غير فلاح فاستبدلناها بلفظة حصاد . (٢) المقصود بها سكان الهند والصين .

نفسية قطـــة

للكاتب الفرنسي تيوفيل جوتييه

نقلها عن الانجليزية الاستاذ احمد امين

قطتي بيضاء الصدر . فرعليه الأنف . زرقاء العين، تعيش معي على خير ما يكون الصديق لصديقه . ان نمت نامت تحت قدمي . وان جلست على كرسي أكتب جلست هي على مكتبتي تحلم . واذا مشيت في الحديقة تتبعني، واذا أكلت راحتني. فالت ـ أحيانا ـ بيني وبين لقمتي.

استودعني ذات يوم صديق لي بيضاء أحضرها يعود من سفره. فاستوحش من منزلي . وشعر أنه غريب. فتسلق القفص حتى أعلاه، ثم جثم ساكتا مرتعدا.

وكانت قطتي لم تر بيضاء قط . فكان مخلوقا جديدا أمام عينها . أدهشها منظره . فكانت اشبه شيء بقطة محطة من آثار الفراعنة . واستغرقت في التأمل كأنها تستعيد في ذاكرتها كل ما درسته من التاريخ الطبيعي على سطح الدار وفي حديقة المنزل ؛ وكان ما يدور بفكرها يتجلى في نظراتها حتى لأستطيع أن أتبين من عينيها خلاصة أفكارها كما لو كانت تعبر بقول بليغ ومنطق فصيح . كانت كأنها تقول: وليس هذا المخلوق دجاجة خضراء . ولما بلغت من درسها هذه النتيجة تركت المائدة حيث كانت ترصد البيضاء، وربضت في ركن من أركان الحجرة مبسوطة الذراعين مطرقة الرأس منبسطة الظهر ، كأنها نمر يتربص غزالا ورد الغدير.

كان البيضاء يتبع حركاتها في اضطراب . وقد نفش ريشه ورفع ساقه المرتعشة وسن منقاره على إنائه الذي يأكل فيه . وهدته غريزته الى أن هناك عدوا يدبر الكيد له.

ثم أخذت القطة تسدد الى البيضاء نظرات حادة وهو ينظر اليها فاهما حق الفهم ما يجول بخاطرها . فكأنها كانت تقول . لابد أن تكون هذه الدجاجة لذيذة الطعم على الرغم من أنها خضراء . .

وكنت أرقب هذا المنظر باهتمام موطنا نفسي أن أتدخل عند الحاجة .

ثم دنت القطة من البيضاء وأنفها الفرنفل يرتعد . وعيناها تضيقان. وأظافرها تتقبض وتنبسط . وعمودها الفقري يرتفع وينخفض ، وأخذت تمني نفسها قرب الحصول على طعم لذيذ ، كما يمني الشره نفسه اذا دعي الى مائدة صفت عليها ألوان الطعام الشهي .

ثم انحنى ظهرها فجأة كما تحنى القوس في يد الرامي ، ووثبت وثبة فاذا هي بجانب القفص . فأبصر البيضاء ما هو فيه من خطر وقال بصوت خافت رزين : « هل أفطرت ياجنس؟ » وهي كلمة تعود البيضاء أن يقولها كما علمه سيده

فأخذ القطة من الرعب ما لا يوصف : فلو أن طبولا دقت . وصحافا كسرت . وطلقات نارية رميت . ما روعت القطة كما روعت من هذه الكلمة ! ارتدت اذ ذاك الى الوراء، وعلى وجهها أشد عبرات كل آرائها في هذا الطائر . وكان يخيل الى من ينظر اليها أنها تقول : « ما هذا طائراً . ان هذا إلا انسان صغير » .

هب البيضاء يغني بصوت عال . لأنه تحقق أن كلامه خير وسيلة يدفع بها عن نفسه .

نظرت القطة الى نظرة استفهام فلم يقنعها جوابي . فحدثت نفسها في فراشي ولم تتحرك طيلة يومها.

وفي اليوم التالي عاودتها شجاعتها فعاودت الكرة على البيضاء. ولكنها لاقت في يومها مالاقت في أمسها، فاعترفت بزيمتها وقررت أن تعامل هذا الطائر باحترام كما تعامل الانسان.

العوامل المؤثرة في الادب

(بقية المنشور على صفحة ١٨)

ولم يأبهوا لاربابه . وحاول أحد الاطباء الادباء، وهو محمد بن داياك الموصلي ان يبتكر نوعا جديدا من الادب اقتبسه من العاب خيال الظل فالف كتابا سماه طيف الخيال فحبط عمله

واما في الاندلس فابتدع عبادة بن ماء السماء القزاز الموشح وابتكر ابو بكر بن قزمان الزجل . فطرب الناس لهما واعجبوا بهما واقبل امراء القريض وزعماء الادب على نظمهما وجمعهما فنبغ فيهما الشوابغ واشتملت على دواتهما الكتب . فما السبب اذن في استهجان البغداديين لادب العامة وعزوفهم عنه، واستحسان الاندلسيين له وبروعهم فيه؟ السبب يعرفه المؤرخ الباحث وهو ان بغداد كانت شديدة الارستقراطية لانها موطن الاشراف وذوي الاحساب والمثالة والثروة. فكانوا يترفعون عن الشعب ويستخفون بادبه وذوقه وذكائه . ويجدون من الغضاضة ان يتحلوا بحليته ويجروا على اسلوبه. ولكن الاندلس كانت ديمقراطية غنية كامريكا اليوم . فلم يعتز احدفيها بالنسب لتساويهم فيه. ولا بالثروة لعموم الرخاء فيهم . وحسن توزيع الثروة بينهم . فكانت منازل الخاصة والعامة متصاقبة . واذواقهم وآدابهم متقاربة . لذلك لم يتأبه الشعراء والادباء عن تقليد الادب العامي وتدوينه .

« يتبع »

بيت الراعي

للشاعر الفرنسي الفريد دفني

٣ (١)

١) أيفا . من أنت ؟ وهل لك من علم بطينتك ؟ أتعلمين لم خلقت وما هو واجبك في الحياة ؟ أتعلمين أن الله لكي يعاقب الرجل — مخلوقه — على خطيئته الأولى اذ امتدت يده الى شجرة المعرفة شاء أن يكون حبه لنفسه في كل زمان وفي كل أدوار حياته غرضه الأول. مهموم بحب نفسه مهموم بأن يرى نفسه .

٢) ولكن اذا كانت ارادة الله شاءت أن تكوني الى جانبه أيتها المرأة . أيتها الرفيقة الرقيقة . ايفا . أتعلمين السر في ذلك ؟ انما هو لكي يرى نفسه في مرآة نفس أخرى . انما هو لكي يسمع تلك الأغنية التي لا يمكن أن تصدر الا عنك. ذلك الفيض الالهي الذي يتردد في هذا الصوت العذب . انما هو لكي تقضي في أمره وان كنت له أمة . لكي تحكمي في حياته وان اخضعك لقوانينه .

٣) في أقوالك المرحة جبروت المستبد . في عينيك سطوة القوة ، وفي مرآك امارة السلطان ، حتى لقد شبه ملوك الشرق في أغانيهم نظراتك في هول وقعها بنزول الموت . كل يحاول جهده ان يأتي من احكامك المتسرعة . على ان قلبك الذي يكذب جسارة مظاهرك سريع ما يخضع لضربات القدر من غير مقاومة ولا دفاع

٤) لعقلك وثبات كوثبات الغزال، إلا أنه لا يستطيع السير من غير مرشد ولا معين. الارض تدمي قدميه، والهواء يضني جناحيه وعينه يعشو بصرها عن ضوء النهار اذا سطع لألاؤه. واذا اتفق أن سمت به الفكرة في دفعة من دفعات حماستها الى مستقر علوي اضطربت بها الرياح(٢) وعجزت عن ان تمسك نفسها من غير خوف ولا ضجر .

٥) ومع ذلك فليس فيك ما فينا من خصائص الجبن اذ تتردد صيحات المظلوم في قلبك، ويدق بها نبضه كالارغن في سكون الكنيسة المطبق، يتأوه متألما كأنه يرجع صوت ألم تلقاه.

للهيب الفاظك تحرك الجماهير، ويده وعك تمحي آثار كل إهانة وتكران للجميل . يميلك تهزين الرجل فينهض وسلاحه بيده

٦) اليك يحمل ان تنتهي كبريات الشكوى التي تئن بها البشرية الحزينة . عند ما يتضخم القلب بالموجدة ترى هواء المدن يكاد يخنقه كلما دق ، ومع ذلك تسمو تنهداته الى ما فوق الدخان الاسود لتعقد كلمة واحدة تسمعها بوضوح.

٧) تعالى(١) إذن. ما السماء عندي إلا اطار تحيط بك زرقته. ويغمرك ضوؤه ويحميك جداره ، ما الجبل الا معبدك والغابة قبابه. العصفور فوق الزهرة لا ترنحه الرياح والزهرة لا يبعث أريجها والطائر لا يجري أينه الا ليصفو الهواء الذي تستنشقين. ما الأرض إلا بساط لقدميك الجميلتين كأقدام الطفل .

٨) أيفا : سأحب كل مخلوق ، وسأتأمل في نظراتك الحالمة التي ستنشر في كل ناحية أضواءها المتعددة الألوان فتنشرمعها لذتها السحرية وسكونها الضاحك . تعالى ضعي يدك الطاهرة على قلبي المرتق . لا تتركيني وحيداً مع الطبيعة لأني أعرفها حق المعرفة لكي لا أخشاها.

٩) أراها تخاطبني قائلة(٢) وما أنا إلا ذلك الملعب الذي لا تحركه أقدام اللاعبين . درجاتي الزمردية وساحاتي المرمرية وأعمدتي الرخامية صاغتها يد الله . هيهات أن أستمع إلى صيحاتكم أو الى تنهداتكم بل ما أكاد أحس بالهزلة الانسانية التي تمر فوق ظهري باحثة لهاثاً عن متفرجين يكبرن في السماء.(٣)

---

(١) تعالى أي ياحبيبتي فهو يعود الى ايفا مرجعه الاخير والتي ينتهي اليها قائما بعد كل شوط من أشواط شاعرنا (ر) يلاحظ القارىء كيف أن الشاعر بعد أن هاجم حياة المدن في الجزء الاول ودعا حبيبته الى هجرها للذهاب الى الطبيعة التي رسمها لنا وصفا رائعا يعود فيها بدورها والواقع أن (دفني) لم تتمثل حياة المدن وسلوم انه قد قضى حياته منزلا كانه في برج من العاج كما أنه لم يكن من عشاق الطبيعة وهو لم يترك المدن طول حياته ولم ير البحر الا في العقد الثالث من عمره ولذلك كان همه الشاغل الافكار ومخاصمة ما يعلق منها بمفاتن الفرنس ومن هنا كان شعره أقرب الى الفلسفية منه الى أي شيء آخر وهو لذلك يقول بيته المشهور الذي سيراه القارىء بعد قليل. انه أحب جلال الالم البشري وهو لا يحب المدن ولا يحب الطبيعة. وانما يحب النفس المنزهة وما يسعر بها من الكمال. وأي مذهب أفضل من الالم في رفع النفس الى المراتب العليا من الكمال(٢) ليس بغريب أن يصف دفني الحياة بالبكم وهو المطلق على الأفكار صفتا أحسن العبارة عنه بما لا مزيد عليه في أول قصائد الافكار المسماة بالافكار . وفي ياسمينا تسمت بل المجموعة كما عاد فنا جها في قصيدته المشهورة «حمل الزيتون» حيث يحكي جولة المسيح في جبل الزيتون بجانب بيت المقدس قبل يوم الصلب وكيف انه لم يحب عن تضرعاته بغير الصمت بل انا نجد في خواطره التي

(١) في هذا الجزء وهو خير ما في القصيدة وربما كان خير ما كتب (دفني) يعود شاعرنا الى ذكر الحبيبة وأيرها كامرأة في الرجل ثم ينطلق الى ذكر الجمال في الطبيعة ليقارن بينه وبين جمال الفكر وجمال الالم الانساني .

(٢) بها أي بالفكرة . وهي تحمل الثقل على أجنحتها .

١٠) « فانا أطوى البشر بجانب من غير أن أسمعهم أو أبصرهم كما لا أميز بين أحجار النمل ومسحوق رفات الانسان . لا علم لى بأسماء الامم التى أفلها . يسمونى أمهم وما أنا إلا قبرهم . شتانى بلتهم أمواتهم قرباناً له ، ورحيمى لا يستمع لصلوات غرامهم .

١١) « لقد كنت قبل أن توجدوا دائماً معطرة وجميلة يوم كنت أترك للرياح شعورى المنحلة ، وأسلك فى السماء طريق المعتاد فوق قب الميزان ذى الكفات الالهية . فلما وجدتم ذهبت وحيدة فى صمت رهيب أعبر الفضاء الذى تتقاذف فيه الكائنات، وأشق الهواء بجبهتى وثدى الناهدين .

١٢) هكذا تخاطبنى الطبيعة فى صوت حزين متعال ، وأنا أبغضها فى نفسى وأرى دمنا فى أمواج مياهها ، وجثث موتانا تحت حشائشها تغذى بعصيرها جذور غاباتها . وأقول لعينى اللتين قد تريان فيها جمالا « حولا نظراتكما الى غيرها » واكبادمعاتكما على سواها . ليكن حبكما للاسوف لاتريانه مرتين .

١٣) آه ! ترى من سوف يشاهد جمالك ورقتك مرتين أيها الملك الشاكى الذى يتكلم بتنهداته ؟ ترى من سوف يولد مثلك حاملا قبلة كما تحملين فيما ترسله عيناك من بارقات البطر فى ترنحات رأسك المنكس . فى هذا القد المضنى الساكن فى دعة الى فراشه، ثم فى تلك الابتسامة النقيـــة التى تفيض بالحب والألم .

١٤) عيشى أيتها الطبيعة ، وعيشى الى الأبد فوق أقدامنا وفوق جباهنا مادامت تلك سنتك ؛ عيشى واحتقرى — ان كنت ربة حقاً — الانسان ، ذلك العابر سبيل الذى كان من المقدر أن يقوم عليك ملكا، فانى أحب جلال الألم البشرى فوق ما أحب ملكك ومظاهره الكاذبة . هيهات أن تنالى منى صيحة حب!

١٥) ولكن أنت أيتها السائحة المتهاونة ! أماتريدين أن تضعى رأسك فوق كتفى وتستسلمى لأحلامك ؟ تعالى نشاهد ونحن على مدخل منزلنا المتحرك من مرأومن سيمر من البشر . لسوف تدب الحياة فيما يحمله الى الشعر من صور الانسانية عند ما تمتد أمام منزلنا آفاق الأرض الصامتة الى غاياتها البعيدة .

١٦) وهكذا نسير غير تاركين وراءنا فوق تلك الأرض العاقة التى مر عليها أمواتنا من قبل الا شبحنا . ستجاذب الحديث عنهم عندما تظلم الآفاق، ويحلو لك أن تسلكى سبيلا محوا لتسترق فى أحلامك مستندة الى الاغصان الضئيلة باكية حلك العابس المهدد كما بكت (دَيانا) على شواطىء تبعها .

محمد عبد الحميد مندور
عضو بعثة كلية الآداب بباريس

ركبا فى المجرة السماوى ، خواطر شاعر ، ماهو أبلغ من ذلك فى مباهاة الفضاء على والتطاول على الله جلت قدرته فقد كان فى بنون كما ذكرنى أحدى تلك الخواطر بصور رواية يشتد فيها الاشقياء أمنى بترنا هذه الحياة فى يوم البعث محكمة يحاكمون الله فيها على أساءته اليهم فى الحياة الدنيا كما ذكرنى خاطرة أخرى فكرة رواية يكون محورها ان شابا يحتضر فزارا من أشقائه ثم يأتى امام الله ليسأله عن شأنه لماذا احتضر نجيبه لا تسألنى لماذا احتضرت بل اسأل نفسك لماذا أشقيتنى . ونحن نجد فى رواية «شاترتون» لفنى فكرته تجسيداً بليغاً للانتحار حتى لخيل الينا انه يريده ويدعو اليه ولكن لم يحقق فكرته تجسيم بطله شاترتون بالالم ويخص لحيا مثل الخواطر الذى أشار اليه فى جريدته ومن يدرى لعل هذه الفكرة كانت موضوعاً لمشروع رواية تاتية تكميلا لشاترتون

الدكتور طه حسين

فى الجامعة الأمريكية

سيلقى الدكتور طه حسين خمس محاضرات فى موضوع «الشعر العربى فى القرن الثالث للهجرة» بقاعة المحاضرات بالجامعة الامريكية فى تمام الساعة السادسة من مساء الأيام التالية على النظام الآتى :

المحاضرة الأولى : يوم الجمعة ٢٤ فبراير سنة ١٩٣٣
الحياة الأدبية العربية فى القرن الثالث للهجرة

المحاضرة الثانية : يوم الجمعة ٣ مارس سنة ١٩٣٣
أبو تمام وشعره

المحاضرة الثالثة : يوم الجمعة ١٠ مارس سنة ١٩٣٣
البحترى وشعره

المحاضرة الرابعة : يوم الجمعة ١٧ مارس سنة ١٩٣٣
ابن الرومى وشعره

المحاضرة الخامسة : يوم الخميس ٢٣ مارس سنة ١٩٣٣
ابن المعتز وشعره

ولهذه المحاضرات تذاكر خاصة بثمن قليل وتطلب المعلومات عنها من سكرتارية قسم الخدمة العامة بالجامعة الامريكية بالقاهرة

القصص

على هامش السيرة

الفـــداء

للدكتور طه حسين

أصبحت سمراء محزونة كاسفة البال تبدو على وجهها المتجعد وجيبها المقطب كآبة مظلمة ، لم تحاول فى هذا اليوم أن تخفيها أو تخفف من حدتها كما تعودت أن تفعل منذ أعوام وأعوام. فقد عرفت سمراء ألم الحزن منذ احتفرت زمزم ، ومنذ ظهر حرص زوجها على الولد ، ورغبته فى كثرة العدد، ومنذ خطب فاطمة المخزومية فأحبها وكلف بها، وانصرف اليها عن كل شىء وعن كل انسان . ومنذ كثر ولد فاطمة من البنين والبنات واشتد لذلك حب عبد المطلب لها وكلفه بها ، وانصرافه اليها، وتجافيه عن زوجه الأولى تلك التى أضاءت له سبيل الشباب وأعانته على احتمال أثقال الحياة الأولى .

نعم عرفت سمراء ألم الحزن فى هذه الأعوام الطوال من حياتها . ولكنها كانت على بداوتها امرأة ذليقة بارعة الجمال، زكية القلب، تعرف كيف تخفى عن زوجها ما يكره ، وكيف تلقاه بما يحب .

وكانت توفق بفضل هذه اللباقة وهذا الذكاء الى أن تستميل اليها زوجها . وربما اضطرته الى أن ينقطع اليها وقتا ما وينسى زوجه الأخرى الى حين، ولكن يوما أقبل يحمل الى سمراء شراً ليس فوقه شر وألما ليس بعده ألم، أصبح هذا اليوم مظلما. فما أمسى حتى أظلمت له حياة سمراء كلها، ذلك انه مضى بموت ابنها الوحيد . فأذاقها مرارة الثكل واليتم والترمل جميعا . فقد كان الحارث لها ابنا تجد عنده قرة العين . وأباً تحص منه العطف وحنو الآباء ، وكان هو يجد ألمها، ويعرف أسراره ويجد فى الطب لهذا الألم، فكان بالغ فى رعاية أمه وحمايتها. وكان شديد الحرص على أن يلقاها ما استطاع الى ذلك سبيلا، وعلى أن يطيل المكث معها والتحدث اليها يشركها فى جد أمره ولعبه، يستشيرها ويظهر قبول مشورتها والاستماع لنصحها . فكان يقوم منها فى أكثر الاحيان مقام أبيه ، وكان يعزيها بحبه وبره عما كانت تجد من الوحشة حين يصد عنها زوجها فيطيل الصدود . فلما مات الحارث مات منه أمل سمراء ولم تلق الحياة إلا بوجه محزون كئيب يصور قلباً مكلوماً مظلماً . وقد جزعت سمراء لهذا الخطب واشتد جزعها وطال . ولكن أى حى يبقى على الأيام ! ولقد ذهبت الأيام الطوال بحدة هذا الجزع وشدته. كما ذهبت بضر شباب سمراء وكما ذهبت بحياة ابنها الحارث، وكما ذهبت بحب زوجها عبد المطلب. وأصبحت وقد تقدمت بها السن وامتحنها حوادث الدهر امرأة مدعنة لحكم القضاء . لا تنكر شيئا ولا يسرها شىء . محزونة ولكن فى دعة ملتاعة ولكن فى هدوء .

وقد أحست انكار الناس من حولها لما يرون من حزنها وكآبتها . وما يجدون من انقباضها عنهم . فجدت ما استطاعت فى اخفاء ما تجد وكتمان ما تحس ، واحتفظت لنفسها بهذا الكنز الحزين، كنز الذكرى وما تثيره من العواطف وما تهيجه من اليأس. وتركت للناس من نفسها شخصاً عادياً يتسم حين يبتسمون، ويرضى حين يرضون. ويشاركهم فى أكثر ما يجدون من عاطفة أو شعور .

على أنها كانت تجد شيئاً من الرضى وراحة النفس حين تجد من زوجها عطفاً عليها وأنساً اليها . وكان زوجها منذ أصابها هذا الخطب شديد الرفق بها، كثير الزيارة لها يصفيها مودة خالصة قوية . ولكنها حالة أو كالخالية من هذا الحب الذى يحيى قلوب النساء .

أصبحت سمراء فى هذا اليوم محزونة ظاهرة الحزن، كئيبة بادية الكآبة . أقبل عليها إماؤها الثلاث يحيينها تحية الصباح فردت عليهن تحيتهن رداً فاتراً ، ثم جلست وجلسن وأخذت مغزلها وأخذن مغازلهن، وعملت ايديهن فى الغزل وسكتت ألسنتهن عن الكلام . وكانت سمراء تدع مغزلها من حين الى حين وتظل ساكتة واجمة ، وربما انحدرت من احدى عينيها دمعة حارة فأسرعت اليها تزيلها بيدها دون ان تقول شيئاً . والاماء صامتات ينظرن فى حزن عميق الى مولاتهن الحزينة، ولا تستطيع واحدة منهن أن تبدأها بالكلام . فلما طال عليهن هذا الصمت وهذا الحزن وثقل عليهن ما كن يجدن من ألم وما كان يملأ قلوبهن من حب للاستطلاع ورغبة فى الكلام وميل الى تعزية مولاتهن. اجترأت « ناصعة » وكانت أشجعهن قلباً وأطولهن لساناً . لأنها كانت تعرف مكانتها عند سمراء ، فقالت : لقد أصبحت يا سيدتى على حال

مارأيناك عليها منذ زمن بعيد. فقد كنا نراك محزونة كئيبة ولكنك كنت تجاهدين الحزن وتدافعين الكآبة وتتكلفين الرضى، وكنا نجدين ذلك مايشجعنا على تسليتك وتلهيتك بالحديث حيناً وبالغناء حيناً آخر؛ تقصر عليك كل واحدة منا ماحفظت من أخبار بلادها، وتغنيك كل واحدة منا ماتعلمت من الغناء في رطانتها الأعجمية. وكذلك كنت تسمعين أقاصيص سوريه وأخرى حبشية وأخرى يونانية. وكنت تسمعين أغاني في لغات أجنبية قليلا ماتعجبك ولكنها كانت ترسم على ثغرك الابتسام في أكثر الأحيان، أما اليوم فلم نرمنك الاحزناً قاتماً، ولم نسمع صوتك العذب، ولم يرعنا إلا هذه الدموع التي تسفحينها في صمت أليم. تكلمي ياسولاتي ياسيدتي ماذا تجدين؟ ماذا أحزنك اليوم؟ تكلمي وأحسني ظننا بنا، فقد نستطيع أن نعينك على الحزن كما كنا نستطيع أن نبعث في قلبك السرور. نحن إماء ولكننا نساء نجد الحزن كما تجدينه. ونحس اللوعة كما تحسينها. ولعل حظنا للبكاء أشد من حظنا للضحك؛ ولعل حرصنا على الحزن أشد من رغبتنا في السرور. ولعلنا أن شاركناك في الحزن والألم جازيناطائعين، وأرسلنا نفوسنا على سجاياها. فليس في حياتنا وان كنت لنا مكرمة ما يسر أو يرضي، وأي شيء يسر أو يرضي في حياة الأمة الغريبة التي لا تملك نفسها! ولا تحس إلا ذل الرق ولا تستطيع أن ترضى حقاً أو أن تسخط حقا إلا اذا خلت الى نفسها، وانى لها أن تخلو الى نفسها! تكلمي ياسيدتي ماذا يسوءك وماذا يغشى وجهك بهذا الغشاء الحزين؟ قالت ناصعة ذلك وانتظرت أن تجيبها سمراء، ولكنها لم تظفر بجواب، وانما رأت دموعاً تتحدر ثم تتهمر ثم تستحيل الى زفرات حارة ونحيب غير منقطع. هنالك علمت الحزن ما بين السيدة الحرة وإمائها من فروق، فاسرعت اليها يدنتها وبرنقش بها. هذه تقبلها، وهذه تمسح دمعها وهذه تمر يدها على رأسها. وهن جميعاً يبكين لها ويبكين لأنفسهن. وقد هدأت سمراء بعض الشيء. وسكتت نفسها الثائرة الى هؤلاء الاماء الرفيقات فابتسمت لهن في حزن، وشكرت لهن ما أظهرن لها من مودة وعطف، وطلبت اليهن العودة الى ما كن فيه من عمل. وأخذت هي مغزلها وجعلت تديره في يدها ولكن ناصعة لم تلبث أن عادت الى الكلام فقالت وهي تتكلف الابتسام وتتصنع الضحك: ليس يغني عنك الصمت ياسولاتي فانا نعلم ما تسرين كما نعلم ما تعلنين. ولولا خوفنا منك واكبارنا اياك لقصصنا عليك القصة التي تحزنك وتجري دموعك الحرة على خدك النقي. ولكن أنى لنا أن نبلغ منك هذه المكانة وانما أنت سيدة ونحن إماء! قالت سمراء كفى عن هذا الحديث يا ناصعة فقد أنسيت اليوم أن بيني وبينكن فرق ما بين السيدة وإمائها. ولست أرى منكن الآن إلا نساء تعسات مثلي. انما نحن أخوات في الشقاء والبؤس، وما ينفعني أني حرة وأنا مثلكن مقيمة على الضيم محتملة للذل. مذعنة للصروف القضاء! لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ولا أستطيع أن ابرح هذه الدار! والى أين أبرحها! لقد ذهبت غارة بني أسد بأبي وأخي، وأصبحت أمي وأخواتي إماء مثلكن. لا أعرف من أمرهن شيئا ولم ينهض فتيان بني عامر وكاتهم للثأر! ليت شعري ماذا يصنع أبو براء باسته! ماله لا يلاعبها لقد ذهب الموت بابني وأصبحت أسيرة في يد عبد المطلب. أسيرة لا كالأسرى: يجنون ولا أستطيع له بغضاً ولا قلى كما يعمل الأسرى. وانما أحبه ولا أجد عن داره منصرفاً، ها هو ذا قد عاد من رحلته الى اليمن منذ ثلاث. فلما بلغ مكة أسرع الى هالة بنت وهيب ففضى عندها أولى ليالي وأول أيامه لأنها أحدث زوجاته به عهداً. ثم اصبح فانتقل الى نتيلة فأقام عندها يوما وليلة. ثم أصبح فانتقل الى فاطمة فأقام عندها يوماً وليلة وما أراني إلا أنه سيقبل بعد حين، فيلم بهذه الدار إلمامة قصيرة ثم يسرع الى هالة! فما أشد شوقه اليها وقد حدثت أنه أقبل من اليمن كأحسن ما يكون الرجال سمة وابرع ما يكونون جمالا. وحدثت أن هالة انكرته حين رأته فقد وجدته أبيض الرأس وعاد فاحم الشعر، كأنه لم يتجاوز الثلاثين(١). وقد أنكرته من القد قريش كلها لما رأت من سواد لمته. ولكنه أزال العجب قريش حين أظهر لها هذا الخضاب الذي حمله من اليمن، والذي يرد الشيب شبابا، والذي أسرعت قريش اليه فاشترت منه واختضب به شيبها فاذا أهل مكة كلهم شباب.

كل ذلك ولم أر عبد المطلب، ولم أحس منه ذكراً لي وحنيناً الي. وماذا يصنع؟ ليس لي شباب هالة، ولا جمال نتيلة، ولا ولد فاطمة وانما أنا عجوز فانية، يتيمة وحيدة ليس لها أب ولا أم ولا ولد. أنا هذا الحمل الثقيل، الذي يضيق به صاحبه، ولكنه يأبى أن يلقيه ويتخلف منه مخافة أن يصفه الناس بالضعف أو القصور.

قالت ذلك وأغرقت في بكاء طويل شاركها فيه إماؤها الثلاث. ولكن ناصعة لم تلبث أن قالت: أهذا كل ما تعلمين من أمر زوجك ياسيدتي؟ انك إذاً تجهلين كل شيء مولاتي إلا أقل أمره خطراً. وان عندي من أمر سيدنا ما لو قصصته عليك لأرضاك ولخفف لوعة الحزن هذه التي تحرق فؤادك الكئيب. لن ترى زوجك اليوم يامولاتي فهو عنك في شغل، لقد كان راضياً مسروراً حين كان يرى نساءه ينكرن سواد لمته ويعجبن بشبابه الجديد. وحين كانت قريش تستبق اليه لتشتري منه هذا الخضاب مما أحب من مال، ولكنه محزون منذ أمس، مغرق في حزن لا قرار له، فهو خليق بالرثاء. إنك تحبين ياسيدتي وتستبين إعراضه عنك، وستزدرين له، وانى أخشى أن تخفي اليه حين تعرفين نبأه. قالت سمراء في شيء من الجزع بدأ هادئا ولكنه لم يلبث أن اشتد قليلا قليلا حتى بلغ أقصاه: ماذا تقولين ويم تحدثين؟ هو محزون؟ هو خليق بالرثاء؟ لماذا؟

(١) انظر طبقات ابن سعد صفحة ٥٣ جزء أول قسم أول

ابني متى علمت بذلك؟ وكيف أخفيه علي؟ ما الذي يحزنه؟ ما الذي يسوءه؟ ما الذي يجعله أهلا للرثاء؟ ما الذي يضطرني الى أن أخفي اليه لأعزيه وأواسيه؟ قولي أسمع، لا تخفي علي شيئا. قالت ناصعة: مهلا يا سيدتي اذهبي بنفسك ولا تأذني لأحد في الدخول على مذعب. لا بأس عليه في نفسه ولا في ماله ولكنه يمتنع منذ أمس في بيته. هو في عليك إن في هذه الحجة لعزاء لك عن فقد سائر ولدك العزيز. أتذكرين يوم احتفر زمزم فنذر لئن أوتي من الولد عشرة ذكورا .... قالت سمراء: يراعي ليضحين بواحد يا بؤس هذا اليوم! لقد عرفت هذا النذر وكان مصدر شقائي كله، عرفت أنه سيستكمل من النساء ورأيت مدية التضحية مجردة إلى عنق قد تكون عنق ابني العزيز. منذ ذلك اليوم كرهت النساء جميعاً لأني رأيت في كل واحدة منهن ضرة لي. ومنذ ذلك اليوم رأيت شبح الموت مقيما بهذا البيت ما أقام فيه ابني مفارقاً لهذا البيت ما ارتاده ابني. ومنذ ذلك اليوم لم أر ابني في يقظة ولا في نوم إلا رأيت الموت له ظلا. أتمي حديثك يا ناصعة. قالت الفتاة: لقد ذكر زوجك أمس، وهو يتحدث إلى فاطمة نذره هذا وذكر أن آباءه الذكور قد بلغوا عشرة أحياء يراهم مولد طفله حزة فاقسم ليوفين نذره. وإذا حانت إحدى بناته وليجعلهم تسعة منذ اليوم حتى تتمهم له هالة أو نفيلة أو غيرهما عشرة أو تزيد بهم على العشرة. ولم يكد يعاهد هذه اليمين حتى جزعت فاطمة وشاركها بناتها في الجزع. أشفقت على الزبير وأبي طالب وعبد الله وغيرهم من بنيها.

وبلغ الخبر نوفلا فأقبل على العباس، وبلغ الخبر هالة فجزعت على حمزة وثارت لكل امرأة في أبنائها. وألح الناس على الشيخ: تأبى كل قبيلة أن تكون التضحية منها. ومضى الشيخ في بغيه فجمع اليه بنيه وابناءهم بنذره فكلهم أشاروا عليه أن يطيعه وكلهم ألح عليه ليوفين بالنذر ولتقدمن الضحية. وليس لقريش منذ أمس حديث إلا هذا النذر يتناقلونه ويكبرونه ويكثرونه وقليل منهم من يقر الشيخ على هذا العزم الفظيع. قالت سمراء وهي مضطربة: ثم قالت الفتاة: ثم أقبل الشيخ بنيه الى الكعبة مع الصبح فأجالا فيهم قداحه فخرج القدح على أحب بنيه اليه. وآثرهم عنده. قالت سمراء: وسالت من عينيها دمعتان حرقتان: خرج القدح على عبد الله. قالت الفتاة: نعم. فأخذ الشيخ بيد ابنه يقوده الى المذبح وفي يده المدية ولكن بناته جرين وأمهن من دون الفتى صائحات يستصرخن بني مخزوم ويستصرخن قريشا كلها يمنعن الفتى بحياتهن. وأقبلت احداهن الى الشيخ ضارعة تائهة معاقة: اذا كان قلبك قد استحال الى صخر فلا ترق لابنك الشاب ولا لأمه الشيخة ولا لأخواته الباكيات. واذا كانت شريعة قريش قد قست وجفت وغلظت حتى جعلت للآباء على أبنائهم حق الحياة والموت كانهم الرقيق أو الحيوان، فدعنا نحتكم في هذا الفتى الى رب هذا البيت فهو أوسع منك رحمة وأجدر منك أن يضن بهذا الشباب على الضياع. وان يرأف بهذا الدم الذكي ان يراق لتحتكم الى رب هذا البيت في أمر هذا الفتى، لتفرغ بينه وبين هذه الابل الكثيرة التي تسيم في الحرم ولتلتمس من ذلك ما يرضي رب هذا البيت.

وكانت قلوب قريش قد تفطرت حزنا وتصدعت أسى لقول هذه الفتاة وهي تبكي، وقد التزمت أخاها تعانقه وتقبله وتغسل وجهه الناصع بدمعها الغزير وهي تصيح: لا موت قبل أن تموت. فما زالت قريش بالشيخ تلاينه حينا وتخاشنه حينا حتى اضطرته الى ان يقبل تحكيم الآلهة.

قالت سمراء: وقد بلغ بها الطمع انصاف: ثم ماذا؟ قالت الفتاة: ثم لا أدري تركتهم يتأهبون لاجالة القداح بين الفتى والابل وأقبلت لأقص عليك النبأ فرأيتك فيما كنت فيه من حزن عميق.

قالت سمراء: يا بؤس لهذه الحياة! لا يسعد فيها الناس بخير مهما يكثر كل السعادة، ولا تشقى فيها الناس بشر مهما يعظم كل الشقاء. أسعيدة أنا عوت الحارث أم شقية؟ لو قد عاش لذقت الآن ما تذوقه فاطمة من هذا الحزن اللاذع والخوف المهلك ولكني كنت أوثر مع ذلك أن يعيش فقد كان يمكن أن تخطئ القداح، وقد كان يمكن ان لم تخطئ في المرة الأولى أن تخرج على الابل من دونه وقد كنت أستمتع به أعواما، ولكن هل لا مقام لنا الآن لنفرغ الى حيث هم لنشاركهم فيما يجدون. واحسرتاه! إني لصادقة الحزن! إني لصادقة الخوف! إني لشديدة الاشفاق! إني لشديدة الرجاء. ولكن فاطمة ستظن بي سوءا وستقدر أني أقبلت غير بريئة النفس من الشماتة، قالت ذلك ونهضت يدفعها حزنها الخالص ويردها خوفها من سوء الظن، ولكنها أسرعت مع ذلك وأسرع معها إماؤها. ولم تكد تتقدم في الطريق نحو المسجد حتى سمعت أصواتا ورأت اضطرابا ثم تبينت في الأصوات فرحا ورأت على الوجوه بشرا، وعرفت أن القدح قد خرج بعد لأي على مائة من الابل، وان عبد المطلب يؤذن في الناس أنه سينحر هذه الابل بين الصفا والمروة، وأنها حرام عليه وعلى بني هاشم، مباحة لغيرهم من الناس والحيوان والطير.

فأسرعت سمراء حتى اختلطت بفاطمة وبناتها وهن سائرات على الفتى ويحلن بينه وبين غيره من الناس، حتى اذا بلغن البيت ألفين فيه امرأتين تبكيان احداهما هالة بنت وهيب أم حمزة وزوج عبد المطلب، والأخرى بنت عمها البعيمة آمنة بنت وهب. هنالك أقبلت سمراء هادئة باسمة الى الفتاة فكفكفت من دموعها، وضمتها اليها وقبلت جبينها الطلق، ثم التفتت الى عبد الله وهي تقول: هلم يا فتى فقبل أهلك فيما تفعل بها في المهر فلن تبلغ هذه الدموع التي ذرفتها حزنا عليك. ثم نظرت الى فاطمة وهي تقول: ألا ترين أنها أحق فتيات قريش أن تكون له زوجة!

طه حسين

الرجل صاحب الكلب

قصـــة مصرية : للأستاذ محمود تيمور

حدثني الراوي قائلا :

عندما كنت طالبا في مدرسة الزراعة بالجيزة كنت أتردد في أوقات فراغي على قهوة صغيرة بالقرب من الشارع المؤدي إلى جسر الجلاء، وكانت القهوة تطل على النيل، وبجوارها جدول صغير وتتهدل فوقها أغصان شجرة عتيقة. وكنت أعتبرها حلقة الاتصال بين الحضر والريف أو بين المدنية والحياة الساذجة البدائية. فبينما تكون جالسا في مقعدك البسيط تشرب القهوة في هدوء وتصغي الى خرير الماء وتشم رائحة النبات اذ بك تسمع دوي ترام أو سيارة ويتملى أنفك برائحة البنزين والتراب.

وكان يتردد على هذه القهوة رجل بدين الجسم كروي الوجه بأنف أفطس وعيون صغيرة يلبس بدلا من المعطف جرملة من اللون الأزرق الكالح ويلف رأسه بشال قديم مهلهل. وكنا في ذلك الوقت على أبواب الشتاء. وكنت ألاحظ عليه مظاهر الجربعة. واعتقدت أنه من أرباب المعاشات الفقراء. وأذكر أني لم أذهب الى القهوة مرة واحدة ولم أجده. أراه دائما في ركنه المعهود بجوار باب القهوة منتفخا في جلسته يدخن النارجيله ويحتسي القهوة ويزعق بين فترة وأخرى على الخادم يصدر اليه أوامره المقتضبة. يصحب معه دائما كلبا أسود بشع الهيئة من فصيلة الأرمنت. يزعج القهوة بنباحه الثقيل. كان سيده يبالغ في تدليله والاعتناء به. ويكلمه ببعض كلمات انجليزية بلهجة سقيمة لا تتعدى قوله. بكام هير جيمي كام هير ماي دير (١)

ولا أدري ما الذي دفعني الى أن أهتم بهذا الرجل وكلبه وأدقق في ملاحظتي اياهما. مع نفوري منهما.

وذهبت مرة الى القهوة فوجدت عويسا ماسح الأحذية يتشاجر معه. وكان الرجل يشتم الغلام بصوته العريض الوقح وهو منتفخ الأوداج محمر العين يصفق أمامه بصفقات متوالية. ورأيت الكلب يشم ملمع الأحذية بشدة ويجذب بأسنانه طرف ثوبه. فتحاشيت التدخل بينهما وقصدت الى مكاني بجوار الجدول ومعي كتاب الزراعة المصرية لأذاكر فيه. وجاء صاحب القهوة فحسم الخلاف وشتم عويسا وأرضى الافندي ببعض كلمات لا تخلو من تملق. وترك الكلب ثوب الغلام وذهب الى سيده فنظر اليه مليا وهو يهمهم بذنبه ثم تمدد تحت أقدامه ونام.

وجاء عويس يمسح حذائي كالمعتاد فمددت له قدمي في حركة آلية غير ملتفت اليه واشتغل الغلام بالمسح وأنا بالتفكير وبعد برهة خاطبت عويسا ووجهي لا يفارق الكتاب..

— من يكون هذا؟

فأجابني وهو منهمك في عمله.

— واحد حكيم لا طلع ولا نزل. يدعى أنه كان حكيباشي في الجيش في الزمن الماضي

— والآن؟

— على المعاش

ثم رفع رأسه الي وقال:

تصور يا بيه أنه يريد أن يعطيني قرش تعريفة واحد في مسح حذائه ووضع شريط جديد له. وأي جزمة هذه التي مسحتها. ربنا لا يوريك اوكده لك ان الورنيش لم يمسها منذ ان كان جنابه في الجيش..

ولاحظت على الرجل انه يسارقنا النظر فاردت أن أحول مجرى الحديث ولكنني لم استطع اذ كان عويس قد اندفع يقول:

قرش تعريفه واحد نظير مسحة وشريط جديد. أللهم الغني يا سيدي.. هذا خلاف الخدمات التي اؤديها له بدون مقابل. ولو كان شخصا فقيرا لقلنا نخدمه لوجه الله ولكنه رجل عاكم. عاكم تمام.

وسمعت الحكيباشي يصق بشدة على الأرض فخفف عويس من حدته وهمس قائلا:

— تصدق بالله، لو ذهبت الى بيته لظننت انك في مزبلة أو مربط بهائم... لم كل هذا والدنيا أخرتها موت. قضك واردم على هذه السيرة..

وغبت عن القهوة بضعة ايام. وبينما كنت مرة في الترام منهمكا في قراءة البلاغ، اذ شعرت بشخص يدخل العربة - وكانت مزدحمة بالركاب - ويحشر نفسه بين الجالسين وسمعت همهمة استياء من كل ناحية. ورفعت بصري لأرى من الداخل فوقع بصري اول وهلة على كلب اسود ضخم بشع الهيئة عرفته على الفور. ورأيت أمام مقعدي الحكيباشي يمسح وجهه المحتقن المتقد بشدة حرملته على أكتافه ويدفع جاره وهو يدمدم. والتقت أعيننا. وشعرت بأني ابتسم له. وشاهدته يجيبني بحاملة بابتسامة سطحية خاطفة. وبعد لحظات قال لي متدفعا:

— يدفع الواحد منا ستة مليمات لهذه الشركة الملعونة لبحظى بمثل هذه الجلسة المرهقة. نحن آدميون ولسنا بهائم حتى يحشرونا هكذا كأننا في عربة للحيوانات. لماذا لا يزيدون عربة على كل قطار في مثل هذه الاوقات. أقسم بالله ان سوارس الذي تدفع فيه ثلاثة مليمات فقط أحسن ألف مرة من هذا الترام.

(١) تعال هنا يا جيمي تعال هنا يا عزيزي

فوافقه موافقة تامة . وأخذت أدم له الشركة بدورى . فظهر على وجهه الارتياح وأخـــذ يناقلنى الحديث بلهجة ودية ومن غير تكلف كأنه يعرفنى منذ أعوام . وقال :

ـ لم تحضر الى القهوة منذ أيام

ـ كنت مشغولا جدا . لقد هجمت علينا الدروس .

ـ إيه يا بنى لو كنت معنا فى الجيش لاستصغرت من شأن مشاغلك . . كنت أنا لا أجد الوقت الكافى لاتناول كوب اللبن فى الصباح

ـ حضرتك خدمت فى الجيش مدة طويلة ؟

فأجاب بلهجة مزهوة وهو يعبث بسلسلة ساعته .

ـ ٤٥ سنة . . ٤٥ سنة وأنا أعيش فى الخيام وعلى ظهور الجياد . أصعد جروح الجرحى وأعنى بالمصابين . ثم أخرج بعد هذه الخدمة الطويلة العريضة الشاقة بماش لا هو فى العير ولا فى النفير . . . لا مكافأة ولا محزون . .

ثم مال على وهو يبتسم وقال :

ـ ألم تسمع المثل القائل : آخر خدمة النمر علقة .

وكان قد خلا مكان بجواره فنظر إلى كلبه الذى كان ممددا تحت أقدامه وقال له وهو يفرقع بأصبعه . .

ـ كام هير جيمى . كام هير مای دير .

وأشار له الى المحل الخالى . فقام الكلب وبعد أن تمطى وثاب فى هيئة شنيعة قفز بجوار سيده والناس يرمقونه بالنظر الشزر . والتفت الى الحكيمباشى وقال وهو يلاطف كلبه . .

ـ لم أر فى حياتى كلبا وفيا كجيمى هذا . انه انسان وليس بحيوان . لقـــد استغنيت به عن البنين فهو ابنى . وعن الخدم فهو تابعى الامين . وعن الحراس فهو حارسى الذى يبذل دمه فى سبيل . أتصدق أننى لا أعاشر سواه فى منزلى .

ثم نظر الى كلبه وقال :

ـ أوه جيمى أى لاف يو فرى ماتش (١)

وكان بجوارى شيخ معمم فسمعته (يمصمص) بشفتيه ويتمتم قائلا :

ـ لله فى خلقه شؤون !

ووقف الترام على احدى المحطات ودخل العربة محمد افندى زكريا الموظف ببنك الكومرسيال الايطالى فسلم على فى بشاشة . ثم التفت الى الحكيمباشى وقال :

ـ أهلا أسعد بك . فى غاية الأشواق يا حبيبى

(١) أوه جيمى . أنا أحبك كثيرا

وتحدثنا برهة فى العموميات . ثم رأيت أسعد بك الحكيمباشى ومحمد افندى زكريا يفتحان باب البحث فى المسائل المالية . فسكت وأصغيت لهما . وأخذا يتعمقان قليلا قليلا فلم أعد أفهم من كلامهما شيئا . وكانت أمثال الكلمات . الكامبيو والبورصة وسندات الشركة اللجيكية وأسهم البنك العقارى والرنت الفرنساوى تطن فى أذنى طنينا مزعجا . وارتسمت على وجه أسعد بك أشد مظاهر الاهتمام فوجدت عينيه تحملقان فى وجه محدثه حملقة الجائع الشره . وخاقنى أنفه تنتفخان كأنهما تستجديان الهواء . . . وأخيرا وصلنا الجيزة فسلم أسعد بك علينا ونزل لأنه كان يسكن هذه البلدة . أما أنا ومحمد افندى زكريا فتابعنا ركوبنا الى الأهرام اذ كنا نرغب فى تناول الشاى فى (مينا هاوس) وملت على محمد افندى وقلت له .

ـ ان لصاحبك باعا طويلا فى الأمور المالية .

ـ انه يا عزيزى يلعب بالجنيهات فى سوق المضاربة كما تلعب الأولاد (بالبلى)

ـ وهل يكسب ؟

ـ لم أسمع مرة واحدة أنه خسر .

ومرت الايام وكثرت مقابلتى لأسعد بك فى القهوة وتوثقت بينى وبينه روابط الصداقة . واتضح لى أنه شخص غير مزعج كما توهمت قبل معرفتى اياه . فكان اذا رآنى فى ركنى المعهود منكبا على كتابى أذاكر درسى احترم عملى ولم يفتح فمه بكلمة . أما اذا لاحظ أننى لا أعمل لى دعانى الى الجلوس معه . ولا أذكر أنه أكرمنى بفنجان قهوة . أو قدم لى سيكارة واحدة . أما حديثه فكان سخيفا ولكنه ممتع للغاية . معظمه حكايات عن حياته الماضية فى الجيش ونوادر عن كلبه لا تخلو طبعا من مبالغات ومغالطات . وكان اذا تكلم عن كلبه لمعت عيناه ببريق غريب وخيل اليك أنه يتكلم عن ابن وحيد له قد وهبه كامل محبته وحنانه .

وتغيبت بضعة أيام عن القهوة ثم عدت اليها فكان أول شىء لاحظته هو أن أسعد بك غير موجود . ولما جاءنى غلام القهوة سألته عنه فلم يفدنى شيئا . وبعد قليل ظهر عوبس ماسح الأحذية . وكان مسرورا يحيط بظهر فرشته صندوقه فسألته :

ـ ما الخبر يا ولد ؟

ـ خبر عظيم جدا يا بيه . لقد أخذوا كلب أسعد بك فى عربة الكلاب .

ـ ياشيخ !

ـ شاهدت ذلك بعينى رأسى .

ونالنى شىء من الأسف . ولكننى لم أهتم بالأمر كثيرا . واعتقدت أننى سأرى فى الغد صديقى وكلبه يحتلان ركنهما المختار فى القهوة .

وبعد انقطاعي بضعة أيام ذهبت الى القهوة فوجدت أسعد بك وبحثت بعيني عن الكلب فلم أجده. وكانت عيناصديقي مزدتين حائرتين ووجهه محتقنا . وسلمت عليه فلم يرد على فانتصبت وصمت فلم أشأ أن أثقل عليه . وقصدت الى مكان وفتحت كتابي وبدأت دراستي ولكني ما كنت أفعل حتى سمعته يتكلم في لهجة شرسة كأنه يتحدى انسانا أمامه قائلا :

يأخذون الكلب ويطلبون مني جنيها مقابل اطلاق سراحه ! جنيه ! هذا نصب ، نهب ... اخص على دى مصلحة.

وبصق بصقة كبيرة . ثم أتم كلامه ....

— ... مع أني افهمتهم أني حكيم ... حكيباشي الأورطة التاسعة التي قهرت الحصاة في الأبيض ودارفور . رجل مقامي معروف وماضي مفعم بجليل الأعمال . مصلحة دون ! لا تعرف اصحاب المقامات ... اخص !!

وبصق بصقة أخرى . وكان يتكلم بدون أن يلتفت ناحيتي . ولكني كنت متأكدا أن الكلام موجه الي اذ لم يكن في القهوة غيرنا . فرأيت من باب المجاملة أن أعير حديثه اهتمامي . وقلت :

— جميع مصالح الحكومة بايظة .

فاحتد في كلامه وهو ينظر أمامه دائما وقال :

— الا هذه المصلحة . انهـا ليست بايظة فقط . انها غير موجودة .. أتصدق أنهم يرفضون شهادتي الرسمية بأن الكلب غير مكلوب وأنه ليس من الكلاب الضالة ، ويقولون ان الاجراءات يجب أن تتبع مجراها . اجراءات؟ هه !... سأريهم كيف تتخذ أمثال هذه الاجراءات معي ومع كلبي . سأريهم ...!

وضرب بشدة على المائدة والتفت الى هذه المرة وعيناه تشعان باللهيب وقال :

— لقد أرسلت عريضة اليوم الى وزير الحربية لتخلية سبيل كلبي في الحال .. في الحال .

فأجبته على الاثر .

— حسنا فعلت .

وفي الغد سافرت مع فرقة من طلبة المدرسة في رحلة الى الصعيد . وقضينا هناك أسبوعا كاملا نتنقل بين ربوعه متفرجين على آثاره العظيمة . وفي اليوم التـالي لعودتي الى القاهرة قصدت الى قهوتي المعروفة . فرأيت عويسا جالسا القرفصاء على الارض بجوار احدى الموائد وأمامه صندوقه ينتظر زبائنه . فناديته وسألته على الفور .

— ماذا جرى لكلب أسعد بك ؟

فابتسم ابتسامة عريضة وقال :

— يعيش أنت !

— قالوه ؟

— منذ أربعة أيام .

ألم يدفع أسعد بك المبلغ ؟

— يدفع المبلغ ! انه يرضى أن يدفع لهم جنيه ! ولا يتجاوز لهم عن الجنيه .

وشاهدت أسعد بك آتيا صوب القهوة يتوكأ على عصاه الغليظة ويسير في ثقل واعياء ، ولما اقترب مني ابتسم لي ابتسامة هزيلة وسلم علي ثم جلس . ولاحظت على وجهه شحوبا كأنه قريب العهد بمرض خبيث . وأشار الى المقعد الذي أمامه وقال :

— تفضل اجلس

فجلست وبدأنا نتحادث في أمور تافهة . وكانت لهجته مهملة ونظراته فيها بعض الشرود . ولم يتكلم بكلمة واحدة عن جيبي فعلمت أنه لا يريد الخوض في هذا الموضوع . ثم خيم علينا صمت ثقيل فاستأذنت وقصدت الى ركني .

ومنذ ذلك الحين اختلت مواعيد أسعد بك ولم أعد أراه دائما في القهوة كلما ذهبت . وغير عادته في فنجان القهوة السادة الذي كان لا يحيد عنه ولا يزيد عليه واستبدل به بضع كؤوس من العرق . وكان كلما ثارت الصهباء في رأسه اندفع يتكلم في اسهاب محض وبصوت مرتفع كأنه يصرخ أو يشتم . وكانت موضوعاته دائما لا تخرج عن سبه مصلحة الطب البيطري وسب العالم كله على السواء . كان يقول دائما :

— الدنيـا كلها نهب في نهب . اخص بلا قرف . وبدأ يضيفي على شرب الزبيب معقولا فقال لي :

— لا تخش ضررا . أنا حكيم . ان الزبيب مقو للدم وفاتح للشهية . أحسن المشروبات كلها .

وأصبح مجلس أسعد بك لا يطاق . فلم أكن أنعم معه بتلك المحادثات الممتعة . ولم يكن يتركني أذاكر دروسي في هدوء . بل كان دائما يقلقني بصياحه المزعج ويضطرني الى الالتفات اليه لأتمم تحميد كلامه . وكان اذا رآني مقصرا في الالتفات اليه جاء الى مائدتي ونقل مشروبه اليها واحتل مقعدا بجواري وبدأ يسح بشكاياته وشتائمه .

وحدث مرة أن جاء صاحب القهوة بحساب الشهر — وكان من عادة أسعد بك أن يدفع الحساب شهريا — فأخذ الورقة من يد الرجل وألقى عليها نظرة عابسة ثم صاح في وجهه :

— ماتة قرش؟ جنيه! أما لصوص صحيح ان أدفع هذا المبلغ ما حييت ودعك الورقة ورماها في وجه صاحب القهوة . وأراد الأخير أن يتفاهم

معه في لطف فاقترب منه ومعه الحساب وأخذ يوضح له عدد الطلبات التي طلبها . فدفعه أسعد بك بشدة وصاح . . .

— اذهب من أمامي لن ادفع شيئا . كلكم لصوص أولاد كلب .

فاحمرت عينا صاحب القهوة وقال :

— اللصوص واولاد الكلب ياحبيبي هم الذين لا يؤدون ماعليهم :

— اخرس ! أتعرف من الذي تكلمه ؟ أنا اسعد بك حكمدار ثاني الأورطة التاسعة في الجيش المصري .

— وماذا يهم ؟ أنا أريد نقودي . ليس هذا الجنيه كجنيه مصلحة الطب البيطري الذي لم تدفعه انقاذاً لكلبك . هذا جنيه ثمن مشروبات جررتها من محلي . . .

ورأيت سحنة أسعد بك قد انقلبت وصارت كسحنة النمر الهائج وقال وصوته يرتجف :

— ماذا تقول ياوقح ؟ جنيه الطب البيطري اجنيه الكلب ! أتظن أني قد بخلت بالجنيه في سبيل انقاذ كلبي ؟ اتجرؤ على هذا القول بالعين ؟ انا أرضى أن ادفع مائة جنيه لا جنيها واحدا من أجله . . ولكني لا ادفع للصوص اولاد حرام ، كلكم تستحقون ضرب الصرم ، ورأيته يدس يده المرتجفة في جيبه في حركة شاذة ويخرج ورقة مالية من ذات المائة قرش وينهال عليها تمزيقا في وحشية غريبة ويقول :

— أتستطيع ان تقول اني لا استطيع أن أدفع جنيها . .

ثم قام وأشب أظافره في رقبة الرجل . وقامت بين الاثنين معركة حامية استدعيت من أجلها الشرطة .

وساءت أحوال أسعد بك فلم أعد أراه الا محمورا ريث الهيئة تمزق الملابس . قوى الشبه بؤلاء المتشردين مدمني المخدرات الذين تراهم في الطرق يستجدون المارة . وكان لا يكف لسانه عن النقود وبالاخص عن الجنيه الذي لم يدفعه انقاذا لكلبه ، وكان يؤكد لي في حماس غريب أنه لم يدفع هذا الجنيه نكاية في مصلحة الطب البيطري وليفهمهم أنه ليس مغفلا أو ضعيفا . وكان يروي الحكاية لكل من يقع عليه بصره في القهوة أو في الطريق وهو يصيح ويهدد ويشتم . واذا لم يجد من يكلمه رأيته يحدث نفسه بحدة وهو يلوح بيده في حركات شاذة .

وانقلب من شحيح متكالب على المال الى مسرف متلاف لا تعرف يمينه ماتنفقه شماله . وسمعت أنه كثيرا ما يذهب الى مصلحة الطب البيطري ليفدي الكلاب الضالة ويخرج لها رخصا بمبالغ لا يستهان بها . وكان يحرضني دائما على التبذير ويقول :

— اصرف وبجبع على نفسك .

وقابلت مرة محمد افندي زكريا الموظف بنك الكومرسيال الايطالي فروى لي أخبار امزعجة عن أسعد بك قال انه يضارب الآن بجنون ويخسر خسائر فادحة .

وحلت الاجازة السنوية وانقطعت عن زيارة القهوة ثلاثة أشهر كاملة . ولما عدت اليها رأيت كل شيء فيها لم يتغير . وكانت مائدتي المختارة في موضعها بجوار الجدول تظلها أغصان الشجرة العتيقة . فكأني لم أفارقها الا منذ ثلاثة ايام . واستقبلني الوجوه التي أعرفها كل بابتسامته الخاصة . والتفت حولي مشرق الوجه وأنا أقول :

— كل شيء كما هو !

وبغتة قلت لعويس الذي كان يمسح مقعدي في هرج وسرور وبهجة لمسح حذائي . .

— أين أسعد بك ؟

فتوقف عن عمله ورفع بصره الي وقد غابت ابتسامته وانقطع ضجيجه المرح وقال بلهجة قابضة :

— الم تسمع عنه شيئا ؟

— كلا

— لقد ارسلوه الى المارستان . كانت حالة المسكين في المدة الأخيرة عجيبة . وكنت انا الذي أعتني به .

— ماهذا الكلام ؟

— الحقيقة ما أرويها لك

— وهل يمكن أن أزوره في المارستان ؟

وهز عويس صندوقه تحت قدمي وبدأ يمسح في هدوء . وقال في لهجة غريبة :

— كلا ياسيدي لا تستطيع أن تزوره . . . لن تراه أبدا . .

ونكس رأسه . . . فحككت رأسي أنا أيضا وبدأت استغرق في تفكيري الحزين .

في الصيف

للدكتور طه حسين

يبيعه من اليوم شباب القرش لفائدة مشروعهم

اطلبه من جمعية القرش ٤٥ شارع عابدين تليفون ٥٧٢١٦

ثمن النسخة ١٠ قروش وللجملة ثمن خاص

قصـــة عراقية :

تريد أن تحب . . . ؟

للأستاذ أنور شاءول

الاستاذ أنور شاءول كاتب عراقي وشاعر غزلي وقيق يمارس المحاماة وشاءول الصحافة ويصدر مجلة (الخامد) وهي ازرق المجلات الاسبوعية في بغداد. وهو ثاني اثنين أقاما للقصة العراقية على قواعد من الفن الصحيح وله فيها كتاب الحصاد الاول .

(الرسالة)

فرغت من قراءة المقال . وفي هذه المرة لم ترم المجلة بعنف وياس شأنها كل يوم انما وضعتها بلطف قرب وسادتها ثم مدت يدها تضغط على زر المصباح فساد الظلام.

وفي حلكة الغرفة كانت عيناها مفتوحتين يلتمع فيهما بريق غريب. لم تنم لليوم لانها كانت تشعر بحاجة ملحة الى الانتباه والتفكير عما أيمكن أن يكون شقاؤها اللازم قد أشرف على النهاية فتشرق شمس الغد ضاحكة وتقبل السعادة المفقودة لترتمي بين أحضانها ؟

انه مقال «في الحياة والحب والجمال» لاشيل له فما قرأته قبل اليوم من تلك الفصول الطويلة . انه قطعة من وجد ، قطعة من قلب بل هو حياة مثلى مصغرة طالما حنت اليها بعد تكتبها قبل سنتين . ولكن هذا المقال لم يثر من اهتمامها قدر ما أثار منه كاتب المقال ، ذلك اللوذعي القدير المتفنن ذو القلم الساحر الذي استطاع ما لم يستطعه قبله كاتب من إهاجة الجمرات الكامنة من أعماق صدرها .

فمن هو هذا الكاتب ؟

المقال مذيل بامضاء ولكن الامضاء لا يشير الى شخصية حقيقية انما هو من تلك الامضاءات المستعارة المتكررة . « سمير النجوم » . ومن هو هذا سمير النجوم ؟ وضغطت على زر المصباح فتفجرت الانوار تمزق الظلمة وكانت المجلة في يدها فجلست متكئة على وسادتها وراحت تطالع المقال ثانية . وهي في كل فقرة من فقراته تستهل النظر فتطلق لافكارها الجامحة العنان. لم تعرف (م) كم مرة أعادت تلاوة المقال في تلك الليلة . ولم يكن ليهما أن تعرف ذلك . وعندما دقت الساعة اثنين بعد منتصف الليل تذكرت أنها أوت الى فراشها في منتصف الساعة الثامنة

* * *

و (م) من هي ؟

هي تلك الزنبقة التي ما كاد تفتحها يفتر في الحديقة الغناء فتمتص الندى وتتشرب العبير وتنعم بأنوار الشمس حتى قطفت عنها الطبيعة يد الزوجة الحسناء بالامس المترعة الكاس سعادة قدسية ، الارملة البائسة اليوم المتلئة الجوانح شعوراً عربيا علويا ! !

يالجمال الرائع تلامسه يد الاسى بأصابعها النارية ! يالقلب الفارغ بعد امتلاء تشرب اليه الوحشة والحنين بين الذكريات الوامضة الجميلة !

ويا لليالي الشتاء ما أطولها وما أقسى بردها على هذه الخامة الوحيدة الوادعة !

توفي زوج (م) والمأسور على زواجها أكثر من عام تخلف شريكة حياته ولاسلوى لها سوى طفلة في مهدها ودكريات طيبة مشوبة بمرارة الفراق الابدي . من الذي سيبادلها الحديث الحلو ؟ الابتسام ؟ القبلات والعناق ؟ ومن سيشاطرها الحياة شرورها وسنيها ؟!

أحبت وحيتها شأن كل أم وأفرطت في الحب ولكن هذا الافراط ما كان ليخفف من مصابها بشريك حياتها . ومرت الايام والاشهر وتصرم عام وبعضه . و (م) تستهدف سهام الحياة .

فتتألم ذلك الالم الاخرس الذي يجيش في نفس جريح خانته قواه فما استطاع كلاما حتى ولا أنينا !

سل الوسادة عما بللها من دمعها الغزير في ظلمات الليل ! سل النجوم عما تصعد اليها من حسرات على أجنحة الرياح ! وسل المرآة الصافية عما صوب اليها من نظرات حزينة ؟ ومن خلال لآلئ الدموع كانت عيناها تنظران بعيدا ، كبير الى الجمال الضائع .

— انني مازلت حسناء ... جاذبيتي مازالت ثائرة ... وقلبي الفارغ ... هل سيظل هكذا .. ؟ ولماذا يظل هكذا ... ؟

تحول هذه الافكار وأشباهها في رأس «م» فلا تلبث أن ترتمي على كرسي قريب وتجهش بالبكاء . فاذا مادنت اليها طفلتها تصيح (ماما) انقلبت من البكاء للضحك ومن الاجهاش للقهقهة . وفي شيء لم يتغير هو الالم المض في قلبها الوديع .

***

(أتريد أن أحب) .. وحي عاوى هبط على نفس (م) هبوط قطرات الطل على الزهرة العطشى ولامس كل عاطفة من عواطفها ملامسة لفحة الوقد للجسم البارد المصطلي . ولكن أين من تحب ؟ ومن هو ؟ وكيف الحصول عليه ؟

شاب في مقتبل العمر ، تشوق القوام ، ضحوك الوجه ؛ براق العينين ؛ جرسي الصوت ؛ عصوب المشر ؛ مثقف ؛ ذكي ؛ ذلك من كانت تبحث أو تحاول أن تبحث عنه (م) ليملأ فراغ قلبها الفني .

ولكن أين تجده وعجمها من القساوة بحيث يراقب منها الحركات والسكنات ويحصي عليها حتى أنفاسها . طريقها طويلة شائكة فهل تسير وهي حافية القدمين أم تتكس على الاعقاب ؟ (أتريد أن أحب)

كانت وحيا هابطا ما أن له مرد .

بعد تفكير أيام بليالها وصلت الى أن بامكانها ان تجد أحد كواكب السما ، وكواكب السما كثيرون تمتع بجمالهم وأصواتهم في السما الناطق كل أسبوع ، فما عليها الا أن تجد أحدهم مثل روبرت مونتكومري أو كلارك كابل أو موريس شفالييه أو جاك بوكانان أو شارلس فارل أو رامون نوفارو أو أي كوكب آخر فتفيل على اقتناء صوره ومشاهدة أفلامه وقراءة أخباره وتتبع كل أثر من آثاره .

وهي فكرة جميلة تخفف من لواعجها ولكنها لا تطفيء أوار قلبها ! انها في حاجة الى حب حقيقي لا خيالي . فلتبحث عن أمنيتها في غير هذه السبيل .

— لماذا لا تطالع الروايات العصرية التي مازال أشخاصها أحياء يرزقون ؟ فلا ما عليك اعجابها بطل ما فلتبحث عنه عساها تصل الى معرفته والانتصار عليه فتفوز به وعلى رأسها إكليل (كوبيد) والى جانبها عشيقها العزيز المغلوب !

فكرة جميلة جداً حاولت أن تخرجها الى حيز الوجود فقرأت أكثر من خمسين رواية فلم تظفر بمطمح أنظارها وأفكارها فأشاحت بوجهها حزينة ولمى !

وكومضة البرق الخاطف تحت جنح الظلام خطر لها خاطر أنست اليه ورأت فيه مخرجا لها من هذه الحالة الأليمة ، هو أن تبحث عمن (تريد أن تحب) في الجرائد والمجلات المحلية منها بوجه خاص ، في هذه الصحف يكتب العشرات من الكتاب والقصصيين والشعراء فما عليها الا أن تطالعها بانتظام حتى تعثر على ضالتها المنشودة .

***

مقالات ! قصائد من الشعر المنظوم أو المنثور ! كلمات مأثورة لا يحصى لها عدد ! هذا سياسي ! ذلك أديب ! الآخر عالم . الا أنهم كثيرون ! كثيرون جداً ولكنهم على رغم كثرتهم لم يثر واحد منهم كامنا في نفس م فكانت تطالع ما يكتبونه ثم لا تلبث أن ترمي الصحيفة جانبا ثم يتملكها شعور هو أقرب الى الفتور منه الى سواه .

حتى كانت تلك الليلة السعيدة التي وقع نظرها فيها على مقال «سمير النجوم» في الحياة والحب والجمال فتفتحت الصعداء وبرقت أسارير وجهها وخفق قلبها خفقة عربة لم تستطع «م» تأويلها الا بأنها عثرت على من تريد أن تحب .

والمجلة التي نشرت مقال «سمير النجوم» أسبوعية كانت «م» تشتريها صباح كل أحد من بائع الجرائد المجاور لدارها ، أما اليوم فقد كتبت الى إدارة المجلة ترجو أن تعدها مشتركة في ثلاث نسخ أرسلت بدل الاشتراك السنوي عنها سلفا .

وكان نهار الاحد التالي تصدر المجلة . ويالطول «م» ! فهي بعد انتظار أسبوع كامل كان أطول من عام لم تقرأ شيئا لـ «سمير النجوم» ويالوحشة القلب !

«أريد أن أحب» وحي أحد يتحسم معقوله في نفس «م» يوما ويوما باعنا الامل في أحلامها . وفي الاسبوع الرابع قرأت ودموع الفرح تترقرق في أحداقها مقالا تاليا لسمير النجوم عنوانه «السعادة الزوجية والمال» فكان له أثر عميق في نفس «م» فاعادت قراءته ثانية وثالثة ورابعة حتى أوشكت أن تحفظه عن ظهر قلب .

وفي الاسبوع التالي نشر «سمير النجوم» قصيدة في ٢١ بيتا بعنوان «غلي ...» كل بيت من أبياتها يسيل رقة وجمالا ، فكررتها «م» حتى حفظتها كلها وراحت تغني بها صباح مساء .

وظلت «م» تتعقب آثار «سمير النجوم» عشيقها المثلى الاعلى ومعبودها ، فلم يفتها التهاما ولا تقرأ ، سواها . وفي أحد الايام فكرت حقا في الامر وارتأت أن عليها أن تعمل عملا حازما في هذا الشأن فتقول لسمير النجوم وجها لوجه «انى أحبك .. أحبك أيها الكاتب القدير .. أحبك أيها الفتى الجميل ..» فكيف تصل الى ذلك ؟ وأجهدت فكرها واذا بوحي الحب يهبط فيلهمها ان تدعو «سمير النجوم» — برسالة تبعثها اليه بواسطة المجلة — لتناول الشاي لديها في مساء الثلاثاء القادم . ما أبدعها فكرة مصيبة سهلة التنفيذ . !

***

وفي هدوء الليل جلست إلى مكتبها تحبر الدعوة إلى سمير النجوم وكان القلم يرتجف بين أناملها فتكتب وتشطب وتمزق ثم تكتب وتشطب وتمزق ثم تعود فتكتب وتشطب وتمزق ..

هذه كلمة خشنة .. هذه جملة ركيكة .. هذا تعبير غير صحيح ..

واخيرا استقرت على ان تكون الدعوة كما يلي :

«انا احدى المعجبات بكتاباتك الفياضة بالروح . أتشرف بدعوتك الى تناول الشاي في داري الواقعة ... في الساعة الخامسة وثوالي من عصر الثلاثاء القادم . اهلا بك منذ الآن »

قرأتها ثانية وثالثة فاعجبتها ، عند ذلك وضعتها في غلاف معطر وكتبت عليه :

الى الكاتب المحترم سمير النجوم — بواسطة مجلة ... العراء .

وحين استلقت على فراشها أرادت ان تقرأ الرسالة للمرة الاخيرة قبل أن تلتحف فتناولتها وتلتها بصوت عال كأنها تريد أن تتحسس موسيقى تراتيلها فصدمتها منها الجملة الاولى «انا احدى المعجبات» لا .. لا .. يجب أن تكون هكذا «انا معجبة الخ ..» لماذا أتحدث اليه عن اعجاب الغير ؟

ونهضت الى مكتبها تعيد تبييض الرسالة وبعد هنيهة كانت تسورها الاحلام الجميلة !

(البقية على صفحة ٣٩)

رحلة الى دير طور سينا

للأستاذ الدمرداش محمد

من مدرسة الأمة الثانوية بسوهاج

١

كنا تسعة من الرفاق من شعوب مختلفة جمعتنا المصادفات فاحسنا رغبة مشتركة للقيام برحلة الى قلب شبه جزيرة طور سينا لزيارة ديرها الشهير « دير سانت كاترين » فاتفقنا على تنفيذ الرغبة رغم ما تنطوى عليه من مشقة ومتاعب جمة ولكنها كانت رغبة ثائرة دفعتنا الى العمل بحماس شديد ساهم فيه الشاب منا والكهل والشيخ على حد سواء. — وبعد أن استكملنا عدتنا من مرافق السفر والاقامة وتزودنا بكل ما يلزمنا من معلومات وخرائط . استأجرنا أربع سيارات من نوع معروف بالمتانة ومقاومة الصدمات والرجات العنيفة . ثم جعلنا إحداها لحمل المعدات والاخريات لركوب الجماعة.

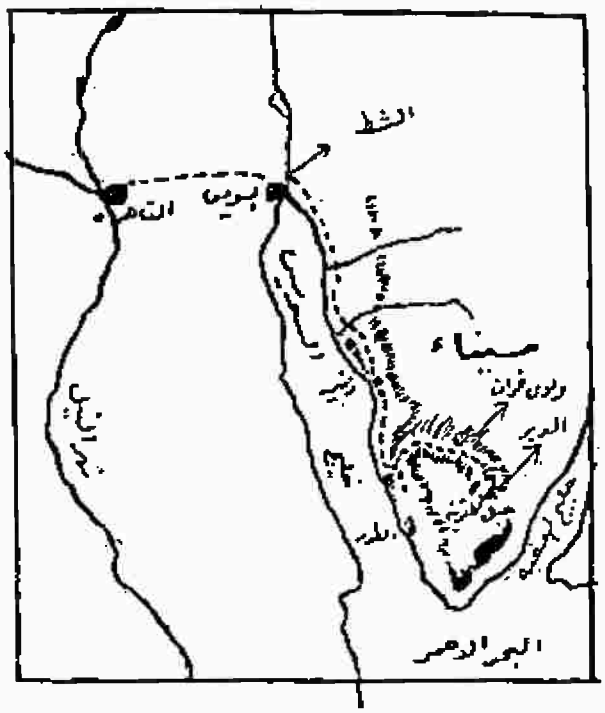

من القاهرة الى دير طور سينا

تستغرق هذه الرحلة عادة أسبوعا كاملا ثلاثة أيام فى الذهاب يومين فى الاقامة والتفرج على الدير ومثلهما فى العودة. هذا اذا لم تصادفك عراقيل فى الطريق ولكن كثيرا ما يضيع على المسافر يوم أو بعض يوم فى إصلاح ما قد تصاب به سيارته من عطب أو فى انقاذها من ورطة. فقد تغوص عجلاتها فى الرمل ولا يتيسر اخراجها منه الا بجهد ومشقة وتعتبر الكثبان الرملية من أكبر معطلات الانتقال السريع فى الصحراء . وهى تعترض الطريق فى كثير من الجهات. وكذلك جلاميد الصخر وهى منتشرة فى كثير من الوديان ومجارى السيول . الا أنها أقل خطورة من الكثبان.

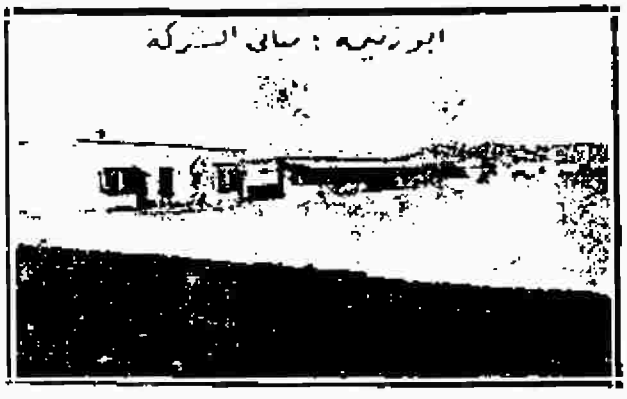

والمسافة بين القاهرة والدير نحو ٤٢٥ كيلو مترا يقطعها المسافر عادة فى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى من القاهرة الى السويس، والمرحلة الثانية من السويس الى ابى زنيمة على خليج السويس. والمرحلة الثالثة من أبى زنيمة الى الدير .

غادرنا القاهرة بعد ظهر يوم الخميس ٢٣ ابريل سنة ١٩٣١ بساعتين قاصدين السويس عن طريق الصحراء ، فوصلناها فى الاصيل وبتنا فيها .

وفى اليوم الثانى عند الفجر عبرنا قنال السويس الى الضفة الشرقية عند نقطة الشط، وبعد أن فحصنا سياراتنا وتزودنا بمعداتنا انطلقنا نسير نحو الجنوب فى طريق رملى منبسط — وعن يميننا خليج السويس وعن يسارنا تلال تتدرج فى الارتفاع كلما بعدت عنا نحو الشرق — وبعد ساعة من الشط مررنا بعيون موسى وهى عبارة عن واحة صغيرة قريبة من الخليج خالية من السكان وبها عين ماء كدرة ونخيل وبعض اشجار اخرى.

وعند الظهر قطعنا وادى الغرندل . وهو واد عريض يسير من الشرق الى الغرب، كثير الشجيرات، وافر الكلأ يتوسطه مجرى من الماء العذب. وبعد وادى الغرندل تتغير طبيعة الطريق فيصير صخريا فى كثير من اجزائه كثير التعاريج والالتواءات بين انخفاض وارتفاع. وتقوم فى جهته الغربية سلسلة من جبال عالية تحجب البحر وتسمى . وقبيل العصر برزت امامنا جبال المنجنيز بلونها الأدكن وعلوها الشاهق. وبعد أن مررنا بوادى الطيب وهو كوادى الغرندل كثير الماء، انعطف الطريق نحو الغرب. وبعد أن اجتزنا مضيقا بين جبلين، اتجهنا نحو البحر الى سهل واسع موازٍ للخليج تقع أبو زنيمة فى طرفه الجنوبى على مرفأ صغير للسفن وهى عبارة عن قرية صغيرة بها منشآت شركة المنجنيز ومستودعاتها ومساكن

الموظفين والعمال ومسجد ومدرسة أولية ونقطة بوليس ومكتب للبريد والتلغراف ودكان صغيرة (كانتين) قد يجد فيها المسافر بعض ما يلزمه كالأطعمة المحفوظة والبنزين والسجاير، وبالقرب من الدكان المذكورة مستودع للماء العذب الذي يؤتى به من السويس في البواخر والشركة تعطيه للمسافرين مجانا.

كان وصولنا الى أبي زنيمه قبل الغروب بساعة فلم نشأ المبيت بها بل تابعنا السير والطريق بعدها لمسافة ليست قصيرة ضيق يسير فوق صخور عالية تشرف على البحر من جهة وتحف بها الجبال من الجهة الاخرى . وعند الغروب وصلنا الى نقطة بوليس لخفر السواحل واقعه على البحر يبعد عن السويس نحو ١٥٤ كيلومترا قاما بالقرب منها .

وفي صباح اليوم الثالث تابعنا السير جنوبا في الطريق المؤدي الى الطور مبتعدين عن الطريق الشرقي للدير لكثرة حرماله الناعمة وهو الذي تسلكه عادة سيارات مصلحة الحدود . وعند الظهر وصلنا الى نقطة تفرع منها طريقان يتجه شرقا وهو طريق وادي فيران الموصل الى الدير فتبعناه وبعد ساعة . وكان تقدمنا بطيئا جدا لكثرة الحصى والارض وكثرة الجلاميد بها . دخلنا

مدخل وادي فيران

وادي فيران العظيم . وهو من اجمل الوديان التي شاهدتها . طوله نحو ١٢٠ كيلومترا . كثير التعاريج، وجباله جرانيتية شاهقة ذات الوان معدنية بين ابيض واسود واحمر وجوانبها تكاد تكون رأسية وقمها مخروطية تناطح السحاب، والوادي كثير العشب والخيرات . وتعم واحة فيران في منتصفه طولها نحو اربعة كيلومترات . وبها نبع من الماء الزلال يتفجر من جوانب الصخر . ويسيل في مجاري تتخلل بساتين الواحة وريها ، والواحة عامرة بالناس والحيوان والمزروعات والحشائش ، فيها من الحيوانات الجمال

واحة فيران

والغنم والماعز . ومن المزروعات القمح والشعير والبقول . ومن الاشجار النخيل والليمون المالح والتفاح والتين والزيتون والسرو والعنب والصبير وغير ذلك من الاشجار البرية التي لا اعرف لها اسما .

كان وصولنا الى الواحة قبل الغروب بساعة فنزلنا ضيوفا على الحديقة التابعة للدير وبتلك الليلة بها . وقد رحب بنا الراهب المشرف على الحديقة وراح يكرمنا ضيافة لنا عشاء شبيها مركبا من شاة مشوية وبعض البقول المطبوخة والفواكه المحفوظة .

وبعد العشاء جلست الى الراهب استمع لما يقول وهو من أصل يوناني يتكلم العربية بطلاقة ولكنها بلكنة مفهومة قال: جئت هذه الواحة مرغما من قبل المطرانية منذ ستة عشر عاما وكنت قد جاورت الستين فوجدت فيها ما كنت أشده من العزلة وطيب الاقامة ولا يزيدني مرور الأيام الا التصاقا بها ومحبة فيها وقد عشت مع هؤلاء البدو الطيبين عيشة عائلية

لم تشب عشر تا طول هذه المدة أية شائبة وكل ما أتمناه ان تكون حجرتي الصغيرة هذه - مشيرا الى حجرة تتوسط الحديقة - وهي التي آوتني طوال هذه السنين في قيظ الصيف وزمهرير الشتاء، أتمنى ان يكون فيها لحدي كذلك ثم سكت وأطرق برأسه، وبعد ان تنائب طويلا اخذ يرتل نشيدا دينيا بصوت خافت ونغمة عذبة شجية طربت لها وأهاجت عواطفي حتى كدت ابكي ثم اتجه الى ناحية في الحديقة ودعانا نرقب الهلال من بين ربى سربالة، فكان مشهدا لم أر أجمل منه

ومظهر الحديقة وحسن تنسيقها يدلان على ما يبذله هذا الشيخ من عناية وجهود، ويقوم على خدمتها جماعة من البدو بارشاده، وله عندهم مكانة واحترام، وهو يعيش بينهم آمنا مطمئنا ويعيشون في كنفه مسالمين قانعين، وهو المتصرف في شئون الدير فلا يسمح لبناتين الأهالي من مائه الا بما يزيد عن حاجة حديقته.

ويشرف على الواحة جبال سربالة بجدرانها القائمة وقممها الضاربة نحو السماء برؤوس مخروطية كالسهام. وقد شاهدنا بين الربى مبان قديمة قيل لنا إنها منازل رومانية أثرية ومن بينها صوامع للرهبان.

وفي صباح اليوم الرابع تابعنا السير بين مناظر طبيعية رائعة خلابة وكان تقدمنا بطيئاً كاليوم السابق لتصعيد الطريق، وقبل الظهر مررنا بقبة على ربوة بجانب الوادي قيل لنا إنها مقام نبي الله صالح عليه السلام وبعدها تغيرت معالم الوادي واتجهنا نحو الجنوب ثم مالنا الطريق نحو الشرق وارتقى بنا في وادٍ شديد الانحدار، وهنالك في أحضان جبال ثلاثة وعلى ارتفاع ألف متر من سطح البحر أو يزيد، ظهرت لنا حديقة الدير باشجارها الباسقة ومن خلفها الدير نفسه رابضاً عند سفح جبل موسى كالحصن ثابت الأركان عالي الجدران تعلوه المنازل والابراج

« لمابقية »

تريد أن تحب . . . ؟

(بقية المنشور على صفحة ٣٦)

بعد ثلاث ساعات يأزف الموعد. كل شيء منظم بذوق سليم والاواني، الطاقس، الوسائد، الصور، في وسط الغرفة رسم لها كبير يزيك تتبعها الاعين تغطيه ملاءة حريرية شفافة، مجموعات الرسوم الفنية، الراديوغرامافون، الستائر، العطور. ما اعظمه يوما في التاريخ!

لم يبق الا ساعتان

لم يبق سوى ساعة ونصف!

ساعة واحدة فقط. ثلاثة أرباع الساعة. . نصف ساعة. . ربع ساعة. .

ما لقلبها يدق سريعا سريعا. . ؟ ما لها لا تستطيع الثبات على المقعد. . ؟ إنها تروح وتغدو كأن في صدرها نارا تحركها. .

بقي عشر دقائق. . تسع. . سبع. . خمس. .

وأحست بقلبها كأنه يريد ان يتحرك من مقره ويصدرها يعلو ويهبط. . وبافكارها وأنظارها زائغة لا تستقر على قرار.

تن. . تن. . تن. . تن. . تن

دقت الساعة خمسة فطرق الباب على الاثر فهرولت تستقبل سعادتها المنتظرة.

فتحته قليلا وهي تقول بصوت عذب منقطع. تفضل!

فدخل سمير النجوم يتوكأ على عصاه. . كان شيخا تجاوز الستين، محدودب الظهر، غائر العينين. . . .

— مساء الخير سيدتي. .

— تفضل!!

وأومأت اليه أن يدخل غرفة الاستقبال وركضت إلى غرفتها فارتمت على فراشها تبكي بكاء الاطفال. . .

بغداد — انور شاءول

المحامي

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

نقلها إلى العربية

احمد حسن الزيات

وهي قصة من الشعر المنثور قوية العاطفة دقيقة الوصف رائعة الاسلوب. تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الساحة رقم ٣٩ ومن المكاتب الشهيرة والثمن ١٥ قرشاً

النقد

لاتينيون وسكسونيون

لم أكن أحب أن تنقل المناقشة بين الاستاذ العقاد وبيني من نقد اللاتينيين ونقد السكسونيين الى الثقافة اللاتينية والثقافة السكسونية. ولست أحب أن تنتقل المناقشة الى هذا الموضوع. ولست أريد ولا أستطيع أن أجاري الاستاذ العقاد في المفاضلة بين هاتين الثقافتين.

ذلك لأني أحب الثقافتين جميعا وأوثرهما جميعا وأريد أن أتثقف بهما جميعا بل أريد أن أتثقف بكل ثقافة أستطيع أن أصل اليها أو أن أظفر منها بحظ سواء كان ذلك من طريق القراءة في النصوص الاولى أو من طريق القراءة في التراجم. واذا كنت اشكو شيئا أو أضيق بشيء فهو أن قدرتي ووقتي لا يسمحان لي بأن أقرأ كل شيء وأن آخذ من كل ثقافة بطرف قوي أو ضعيف طويل أو قصير. ولم أفهم قط مناقشة في تفضيل ثقافة على ثقافة أو ايثار ثقافة على ثقافة بالقياس الى أديب كالاستاذ العقاد، أو الى رجل مثلي كل همه أن ينتفع ما استطاع بالثقافات الانسانية على اختلافها.

بل أذكر أن مسألة الثقافات المختلفة قد فرضت نفسها علي فرضا في بعض الاوقات حين كنت أستطيع أن أوجه التعليم في بعض البيئات المصرية بعض التوجيه. فكرهت دائما أن أوثر ثقافة على ثقافة، ووقفت دائما موقف الخصومة العنيفة من الذين كانوا يريدون أن يفرضوا على مدارسنا الثقافة اللاتينية أو الثقافة السكسونية. ودعوت وسأدعو دائما إلى أن تكون مدارسنا وجامعاتنا ملتقى لاعظم حظ تمكن من الثقافات. وأن يترك للطلاب وأسرهم حق الاختيار بين هذه الثقافات. وقد دعوت وسأدعو دائما الى ألا تفرض على طلابنا وتلاميذنا لغة بعينها من لغات أوربا الكبرى. وانما تدرس هذه اللغات الكبرى كلها في المدارس ويختار منها الطلاب وأسرهم ما يشاءون. وحتى في ذلك أن للثقافات كلها قيمة خصبة وأن منهجنا الصحيحة انما تتحقق يوم نأخذ منها جميعا بحظوظ مختلفة فلا تكون أسرى الانجليز ولا أسرى الفرنسيين ولا أسرى الألمان وانما تكون مصريين قبل كل شيء يأخذون بحظهم من الثقافات الحية حسب أمزجتهم ومنافعهم وحاجاتهم وطاقاتهم أيضا.

واذا كان هذا مذهبي في الصلة بيننا وبين الثقافات الحية فمن غير المعقول أن أجادل في تفضيل ثقافة على الأخرى. والذين قرأوا الفصل الذي كتبته في الرسالة يذكرون أني لم أوثر اللاتينيين على السكسونيين ولم أفضل هؤلاء على اولئك، وانما أنكرت ومازلت أنكر على الاستاذ العقاد زعمه أن النقاد اللاتينيين يؤثرون الظواهر والاوضاع الاجتماعية ويتبعون النكت ومراسم الصالونات على حين يعنى النقاد السكسونيون ببساطة الطبيعة وبالرجل من حيث هو رجل.

هذا بالضبط هو موضوع الخلاف بين الاستاذ العقاد وبيني. ويسرني أن الاستاذ قد برى في الفصل الذي كتبه رداً على من أن يكون قد أراد أن يعم اللاتينيين كلهم بهذا الحكم. فهذه البراءة في نفسها انصاف لهؤلاء النقاد اللاتينيين الذين جنى عليهم مدح الاستاذ أنطون الجميل لشعر شوقي رحمه الله.

وليس الدفاع عن النقاد اللاتينيين نصباً لثقافتهم اللاتينية أو نكراً لثقافة السكسونيين وانما هو العلم بنفي أن يقر الاشياء في نصابها. وليس من الحق بحال من الأحوال أن نقد اللاتينيين كله أو أكثره أو نصفه أو ثلثه كما أراد الاستاذ العقاد أن يصوره؛ وانما النقد اللاتيني كان دائما ومازال نقداً جديراً يقصد الى طبيعة الكاتب أو الشاعر في بساطتها. ويقصد الى الرجل من حيث هو رجل. وقد يصطنع في ذلك التأنق والظرف ولكن ذلك ليس غياً له ولا غاضاً منه وانما يعيب ذلك بعض منه لو لم يكن في النقد اللاتيني إلا تأنق وظرف لكفاه بما وفيه بحسب وتحقيق، فأما وفيه التماس لطبيعة الكاتب والشاعر في بساطتها. فقد يكون التأنق والظرف شيئاً لا بأس به ولا معنى للزهد فيه.

وعجيب جداً من الاستاذ العقاد أن يكره الاعتراف بأن النقد الحديث كله يقوم رغم تطوره واختلاف المذاهب الحديثة فيه على الثقافة الأدبية اليونانية واللاتينية وعلى ما شرعه ارسطاليس في كتاب الخطابة والشعر من أصول البيان. غريب جداً كره الاستاذ العقاد لهذه الحقيقة. فان العقل الأوربي كله مهما تكن بيئته ومهما تكن جنسية اصحابه ومهما يكن حظه من التطور وليد العقل اليوناني الروماني سواء رضينا أم كرهنا ولست أدري لماذا يقبل الاستاذ العقاد أن تكون طبيعة ارسطاليس ومنطقه والهياته ورياضيات اقليدس اصولا لطبيعة الأوروبيين المحدثين ومنطقهم والهياتهم ورياضياتهم ولا يرضى أن يكون نقد اليونانيين والرومانيين أصلا للنقد الحديث، مع أن اتصال الأدب الحديث بالأدب اليوناني واللاتيني مازال أقوى وأشد وأمتن

من اتصال العلم الحديث بالعلم اليوناني . ولست ادري لم يرضى الاستاذ العقاد أن يكون تفكير اليونانيين والرومانيين في السياسة والتشريع أصلا من أصول التفكير الأوربي الحديث في السياسة والتشريع ولا يؤمن للنقد بمثل هذه الصلة؟ أم هل الاستاذ العقاد يكر أن يكون بين العقل الاوربي الحديث وبين العقل اليوناني الروماني صلة ما بين الاصل والفرع؟ فأن كان هذا مذهبه فليس من السهل أن نلتقي أو ان نتفق . بل ليس من السهل أن يلتقي الاستاذ أو يتفق مع الاوربيين انفسهم .

ومن الذي يزعم ان الفرق النقد الحديث وبعد ما بينه وبين أصله القديم يقطع الصلة بينهما؟ وما عمل التطور اذن في حياة الاحياء؟ وهل بيننا نحن المتحضرين المترفين وبين آباءنا الذين كانوا يسكنون الكهوف والاغوار ويبيتون في الاحراش والغابات صلة ! ام هل نحن قوم قد خلقنا انفسنا وابتكرناها ابتكاراً ؟ ومن ذا الذي يستطيع أن يوافق الاستاذ العقاد على أن النقد لا يمكن أن يكون علما قبل أن يوجد علم النفس الحديث ؟ أما انا فلا أعرف أن النقد علم ولا أحب له أن يكون علما وانما أرى كما قلت في غير هذا الموضع أن يكون النقد مزاجاً من العلم والفن وهو على هذا النحو قد وجد منذ عهد بعيد ، وجد منذ كان السفسطائيون يعلمون الناس في صقلية واثينا صناعة الخطابة وفن الجدل ، وجد حين كان ارسطوفان يوازن بين ايسكولوس وايريبيدس أمام النظارة من اللاتينيين وهو يمثل لهم قصة الضفادع أو عيد سيرس ، وجد حين وضع ارسطاليس فن الخطابة وفن الشعر واستمر في روما عند سيسرون وعند خلفائه من نقاد الرومان ، ووجد كذلك عند العرب . ووجد عند الاوربيين المحدثين قبل أن يوجد علم النفس الحديث . انما الذي نستطيع أن نوافق الاستاذ عليه هو أن هذه الفنون من النقد القديم قد أصبحت الآن لا ترضينا ولا تغنينا كما أصبحت طبيعة ارسطاليس وطب ابن سينا وفلك بطليموس لا تعجبنا ولا تغنينا ، ولكن هذا شيء ومايذهب اليه الاستاذ العقاد شيء آخر . اما أنا فاعتذر الى الاستاذ من أني لا أستطيع أن آخذ الاشياء هذا الاخذ السهل الهين القريب ولا أن اقف بها عند أصولها القريبة وإنما أحب ان اتبعها وان اتبعها الى ابعد ما استطيع أن اصل اليه من الاصول ، وقد يكون ذلك عيبا من عيوب الثقافة الغربية التي نشأت عليها أو من عيوب الثقافة اللاتينية التي تأثرت بها ولكني حريص على هذا العيب لأني اراه الأصل الصحيح لكل بحث علمي له صبغة من الجد . ولست أشك في ان الاستاذ العقاد نفسه حريص على هذا العيب لأن الثقافة الكتبية تكره أشد الاكراه وتحيل الى أن قد كان مكسونا ذلك الرجل الذي لم يرضه ان ينتهي بالانسانية الى آدم فترقى بها أو تنزل في طبقات الحيوان الاخرى . ولست أدري لم تقر دوين حين يرد الناس الى القردة ولا تقر الادب الذي يرد النقد الحديث الى نقد ارسطاليس ؟

وبعد فأيهما انشأ صاحبه : أهو علم النفس الذي انشأ النقد أم هو النقد الذي أنشأ علم النفس الحديث؟ مسألة تظهر غريبة بعض الغرابة لأن المعروف أن علم النفس فرع من فروع الفلسفة قد تطور حتى أصبح الآن علما تتناوله المعامل بالدرس والتحليل ، والنقد فن من فنون الادب . ومع ذلك فهذه الغرابة لا تثبت اذا فكرنا في ان هذا النقد انما هو تحليل للآثار الادبية وأن هذه الآثار الادبية انما هي صور لنفوس الادباء الذين أنشأوها ولنفوس القراء الذين استمتعوا بها . فدراسة الآداب دراسة للنفس الانسانية . وليست هذه الفكرة جديدة ولا عصرية وانما هي قديمة جدا عليها اعتمد ارسطاليس في كتاب الخطابة والشعر وعليها اعتمد العرب انفسهم في فنون البيان . ومن المحقق الذي لا شك فيه أن الدراسات النقدية التي نشرها « سانت بوف » قد أعانت جدا على تكوين علم النفس الحديث . ومن المحقق الذي لا شك فيه ان « تين » كان ناقدا أولا لكنه ألف كتاب العقل الذي لا يزال له خطره العظيم في علم النفس الحديث . فليس وجود النقد الحديث نتيجة لنشأة علم النفس ، وانما النقد مؤثر جدا في نشأة علم النفس ومتأثر جداً بهذا العلم ، وكلاهما قديم وضع اليونان أصوله الاولى . وانا معتذر الى الاستاذ العقاد من الرجوع دائما الى اليونان فقد أراد الله أن ترجع اليهم دائما كل ما اردنا تاريخ مظهر من مظاهر الحياة العقلية أو الفنية أو الادبية .

وهنا أريد ان اعاتب الاستاذ العقاد عتابا رفيقا . فقد زعم الاستاذ ان « سانت بوف » لا يشهد لمذهبي في نقد اللاتينيين ، وانما يشهد لمذهب الاستاذ لان ما في « سانت بوف » من مزايا راجع الى تأثره بالثقافة الكتبية والدم الكتبي . ذلك أن ام سانت بوف من اصل انجليزي وأنه كان يؤثر الشعر الانجليزي على الشعر الفرنسي في بعض الفصول التي كتبها عن الانجليز وفي بعض رسائله الخاصة .

اما أن « سانت بوف » كان يؤثر الشعر الانجليزي على الشعر الفرنسي فذلك شيء مشكوك فيه جداً الآن ، « سانت بوف » لم يكن يؤثر شيئاً أو قل كان يؤثر كل شيء . أو قل ان اردت التحقيق ان اخص ما يمتاز به هذا الناقد العظيم انه كان شاكا مسرفا في الشك يقر اليوم شيئا ويعدل عنه غدا ويجوز أن يرجع اليه بعد غد . ولقد اراد « اميل فاجيه » ان يشخص عقلية « سانت بوف » فقال انه لم يؤمن بشيء ولم يقتنع بشيء ولم يؤثر شيئا على شيء حتى حين اعتنق الكاثوليكية في الدين والرومنتسم في الادب . وخدع عن نفسه زعماء الدين حتى هم « لامنيه » أن يستصحبه الى روما ، وزعماء الرومنتسم حتى فن عظيمهم « فيكتور هوجو » .

كان « سانت بوف » اذا عنى بشيء جديد من شعر أو نثر أو تاريخ فن به فتنة المؤمن الفاني في الايمان حتى اذا أتقنه وقتله بحثا رفعه وانصرف عنه نفر منه نفورا شديداً . ولم يكن هذا أبعد حياته العقلية والادبية

فحسب . بل كان دأبه في حياته العملية والشعورية . فقد كلف بالمذاهب السياسية كلها وزهد فيها كلها وكلف بالكاثوليكية حتى فتن الكاثوليك وبالبروتستنطية حتى شغف بها البروتستنطيون. وقال عنه «فاجيه» انه لم يكن يستطيع ان يحب امرأة بينها أو كان يستطيع ان يحب النساء جميعا . واذن فلا ينبغي ان يخدعنا «سانت بوف» حين يثني على الشعر الانجليزي ثناء المفتون به ، فلعله لم يكد يفرغ من هذا الثناء حتى انكره . وهو كذلك قد اثنى على الشعر الفارسي حين ظهرت ترجمة الشهنامة ثناء المفتون به وهو مع ذلك لم يعرف الفارسية ولم تفتها ثقافته حقاً. وهب هذا الناقد العظيم قد آثر الشعر الانجليزي حقاً على الشعر الفرنسي ولم يخدع نفسه ولم يخدع الناس عن رأيه الصحيح في ذلك فمن ذا الذي يزعم مخلصا ان هذا يكفي لاثبات ان الناقد مدين بمزاياه للثقافة الانجليزية؟

أؤكد للاستاذ أني لم أعتقد يوما من الأيام انه هو مدين حتى يوحي الاربعين وغيره من دواوينه ولا بكتابه عن ابن الرومي ولا بكتابه عن جوت ولا بأبحاثه الكثيرة المتعلقة لثقافته الانجليزية الخصبة التي يحبها ويذود عنها . وانما هو مدين بهذا كله كما يرى «سانت بوف» لشخصيته ولبيئته الخاصة التي نشأ فيها عقله والتي لا تكاد تتجاوز الكتب التي قرأها والمعاني التي فكر فيها والمسائل التي عرض لدرسها. فحب «سانت بوف» لشعر الانجليز ان صح لا يجعله مدينا باديه للانجليز. وأين يقع تأثير الثقافة الانجليزية في «سانت بوف» من تأثير الثقافة الفرنسية فيه ؟ والذي كتبه سانت بوف عن الانجليز وعن الاجانب كلهم ليس شيئا يذكر بالقياس الى ما كتبه عن الفرنسيين في كتبه الضخمة المدهشة في هذه المجلدات الستة عن بورويال وفي هذه المجلدات الثمانية عن الصور ، وفي هذه المجلدات الثلاثة والعشرين التي سماها احاديث الاثنين. وفي هذين المجلدين عن شاتوبريان وأصحابه اين يقع ما كتبه «سانت بوف» عن الانجليز مما كتبه عن الفرنسيين بل مما كتبه عن اليونانيين واللاتينيين؟

فالاستاذ العقاد يعلم بالطبع أن «سانت بوف» عين أستاذاً للادب اللاتيني في الكوليج دفرانس ، ولما منعه الطلاب من القاء درسه عن فرجيل لأنه كان يؤيد سياسة الامبراطورية الثانية طبع الدروس التي لم يستطع القاءها فكان منها كتاب قيم عن صاحب الانيادة . وقد كتب «سانت بوف» عن كثير من شعراء اليونانيين وعن الاسكندريين منهم خاصة . فما بال الأستاذ العقاد يرى تأثر «سانت بوف» في نقده بالثقافة الانجليزية ولا يرى تأثره بالثقافة اللاتينية واليونانية لأنه أحب شعراء اللاتين واليونان، وبالثقافة الايطالية لأنه كتب عن شعراء إيطاليا في عصر النهضة ، وبالثقافة الالمانية لأنه كتب عن جماعة من الألمان وعن جوت ؟

أما أن أم الناقد العظيم كانت من أصل انجليزي فالأستاذ يبالغ في نتيجته، فقد كانت أم «سانت بوف» نصف انجليزية كما تقول دائرة المعارف البريطانية ، وذلك ان أباها كان بحاراً فرنسيا وان أمها كانت انجليزية . فاذا كان الأستاذ العقاد يرى أن هذا يكفي ليكون «سانت بوف» مدينا بمذهبه في النقد للانجليز فليسمح لي بألا أذهب معه في هذه الطريق لأنها طريق شديدة الالتواء . للوراثة أثرها في تكوين الفرد ولكن من الاسراف أن نذهب في تقدير هذا الأثر مذهب الأستاذ ومن الغريب أن الذين أرادوا أن يدرسوا مذهب «سانت بوف» في النقد لم يحفلوا بهذا العنصر الانجليزي في تكوينه، فلم يلتفت «فاجيه» ولا «لنسون» الى أم «سانت بوف» كثيراً أما حين فرأى الأستاذ العقاد فيه عجيب ، فهو يرى أني لم أوفق حين استشهدت به أيضا لأن عمه علمه الانجليزية في صغره ولأن تين شغف بالآداب الانجليزية فكتب لها تاريخاً ، ولكن الاستاذ العقاد نفسه تعلم الانجليزية صغيراً وشغف بها وقرأ كثيراً من الآداب الانجليزية . والثقافة العربية ضعيفة بالقياس الى الثقافة الانجليزية . ومع ذلك فأنا لا أطمئن الى الحكم بأن الأستاذ مدين بأدبه للإنجليز . فكيف اذا عرفنا أن الثقافة الفرنسية التي نشأ فيها تين ونبغ بفضلها قوية تستطيع أن تثبت للثقافة الانجليزية، وأن تين لم ينبغ بتاريخه للآداب الانجليزية وانما نبغ بكتب أخرى أجل خطراً من هذا الكتاب ، نبغ بكتابه عن لافونتين الذي نال به الدكتوراه من السوربون، ونبغ بكتابه الضخم الذي أرخ فيه فرنسا الحديثة ، ونبغ بكتابه عن العقل ، ونبغ بكتابه في فلسفة الفن . فهل يظن الاستاذ بعد هذا كله أني لم أوفق حين اتخذت سانت بوف وتين أعلى مثل للنقد اللاتيني الفرنسي ؟ وما ذنبي أنا اذا كان الله قد أراد أن يكون هذان الرجلان رمزين خالدين لحياة الادب الفرنسي في القرن الماضي ؟

ولقد بعدنا جداً عما كنا بسبيله من تشخيص النقد الفرنسي اللاتيني، أهو نوع من تتبع النكتة وتأنق الصالونات أم هو نقد بأدق معاني كلمة النقد ؟ لن ينفع الاستاذ العقاد أن يحتاط وأن يقول انه لم يرد النقاد الفرنسيين جميعاً، وانما أراد كثرتهم أو قلتهم، فليس من الحق أن كثرة النقاد الفرنسيين أو قلتهم كما يظن الاستاذ . وانما الحق الذي لا سبيل الى الشك فيه ان السمة الفنية الخالصة هي أظهر ما يتصف به النقد الفرنسي، وان من ظلم العلم والحق ان يقال في هذا النقد غير ذلك .

وأما بعد فهل يسمح لي كتاب آخرون أرادوا أن يخوضوا معنا في هذا البحث بأن أتحدث اليهم حديثاً قصيراً ولكنه لابد منه . فأما أحد هؤلاء الكتاب فالأستاذ سلامة موسى الذي تفضل

(البقية على صفحة ٤٦)

الكتب

ضحى الاسلام

انه العلامة أحمد أمين الأستاذ بكلية الآداب ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر في (٣) مجلدات من القطع الكبير وقدم له (الدكتور طه حسين بهذه المقدمة) ونعود الرسالة الى هذا الكتاب لنتم فنقول كلمتنا فيه . قال الدكتور :

أراد ناقد من نقاد التمثيل أن يثني على قصة راقته ، وملكت عليه إعجابه ، وكان صاحب القصة له صديقاً حميماً ، فتوقع أن يلام في الثناء عليه ، ولكنه لم يتحرج من إهداء هذا الثناء الى صديقه في غير تردد ولا تحفظ . وأعلن في صراحة - أعجبتني - أن من خيانة الأصدقاء أن تتخذ صداقتهم وسيلة الى جحود مالهم من حق ، وإخفاء مالهم من فضل ، وتجاهلهم هذه المجاملة السلبية التي تدفعك الى أن تتردد وتتحفظ ، وتقدم اليهم ثناء منقعاً شاحباً ، حتى لا تتهم بالاغراق ، ولا توصف بالمحاباة . وحتى لا يسوء ظن قرائك بنصيبك من الانصاف ، وحظك من الاستقلال .

رأى ذلك الناقد ، وأنا أرى معه ، أن هذا النحو من معاملة الأصدقاء خيانة منكرة ، وظلم قبيح . وأنه في الوقت نفسه نوع من اتهام النفس ، والاسراف في سوء الظن بها . فليس ينبغي للناقد أن يُصدِّر - فيما يرى من رأي - عما يقول الناس فيه أو ما يمكن أن يقولوا فيه ، وإنما هو مدين لنفسه ولقرائه بما يعتقد أنه الحق الخالص ، سواء أرضي الناس أم سخطوا ، وسواء أوافق رأيه هوى القراء ، أم انحرف عنه .

وعلى هذا النحو من الاستعداد عمدت دائماً الى النقد ، واجتهدت ما استطعت ألا أظلم الصديق لصداقته ، ولا الخصم لخصومته ، وليس الظلم مقصوراً على أن تغض من العمل الأدبي أو العلمي ، أو تنقص من قيمته لأن صاحبه صديق لك ، أو حرب عليك . بل هناك ظلم أقبح من هذا وأشنع . وهو أن تثني على من لا يستحق الثناء ، أو تغلو في حمد من لا يستحق الحمد إلا بمقدار ، وأن تحمد الخصم لأنه خصم ، ولأنك تكره أن يقول الناس فيك خاصمه فعجز عن انصافه وتحامل عليه .

ولست أريد أن أخون صديق ، أحمد أمين ، بالاسراف في الثناء عليه ، ولا أن اخونه بالنقص منه والتقصير في حقه . وإنما أريد أن أنبي صداقته ، وأهمل - ولو لحظة قصيرة - ما بيني وبينه من مودة كلها صفو وإخاء استطعنا أن نجعله فوق ما يتنافس الناس فيه من المنافع وأغراض الحياة . إنما أريد أن أنصفه . وأشهد لقد فكرت وقدرت ، وجهدت نفسي في أن أجد شيئاً من العيب في الخطار أصف به هذا الكتاب الذي أقدمه الى القراء فلم أجد ، ولم أوفق من ذلك الى قليل ولا كثير .

وليس ذنبي أن ، أحمد أمين ، قد قصد الى عمله في جد وأمانة وصدق ، وقدرة غريبة على احتمال المشقة والعناء ، والتجرد من العواطف الخاصة . والأهواء التي تعبث بالنفوس ، فوفق من ذلك إلى أعظم حظ يستطيع العالم أن يظفر به في هذه الحياة .

نعم ؛ وليس من ذنبي أن ، أحمد أمين ، قد استقصى فأحسن الاستقصاء ، وقرأ فأجاد القراءة ، وفهم فأتقن الفهم ، واستنبط فوفق إلى الصواب . ليس من ذنبي هذا ولا ذاك ، وليس من ذنبي أن ، أحمد أمين ، بعد هذا كله ، وبفضل هذا كله ، قد فتح في دروس الأدب العربي باباً وقف العلماء والأدباء أمامه - طوال هذا العصر الحديث - يدنون منه ثم يرتدون عنه ، أو يطرقونه فلا يُفتَح لهم ، ووفق هو الى أن يفتحه على مصراعيه ، ويظهر الناس على ما وراءه من حقائق ناصعة ، يبتهج لها عقل الباحث والعالم والأديب . ليس شيء من هذا ذنبي أنا ! وإذا لم يكن بد من أن يلام أحد لأن عالماً مصرياً قد وفق إلى هذا الفوز المبين ، أهدى إلى اللغة العربية كتاباً لم يُسبق الى مثله ، فليُلَم هذا العالم المصري نفسه ، وليعاتَب ، أحمد أمين ، لأنه قد ظفر بهذا الفوز .

لقد اختار ، أحمد أمين ، لكتابه عنوانه هذا ، ضحى الاسلام ، وهو لا يقدر إلا أن الضحى يأتي بعد الفجر ، وأنه وقد أظهر ، فجر الاسلام ، يجب أن ينفس في ضحاه . أما أنا ، فكنت أفهم معه هذا الفهم ، وأذهب معه هذا المذهب ، ولكني لم أكد أبدأ معه قراءة الكتاب حتى أخذت أحس شيئاً لم أرد أن أتحدث به إليه ، مخافة أن يكذب ظني مضيتا في قراءة الكتاب ، ولكنا مضينا ، ومضينا حتى أتممنا هذا الجزء الذي نقدمه الى

القراء. فاذا هذا الشيء الذى كنت أحسه يزداد وضوحاً وجمالا وقوة. واذا ظنى يصدق شيئاً فشيئاً حتى يصبح يقيناً. وإذا أنا مؤمن ايماناً لا يشوبه الشك بأن هذا الكتاب الذى أنا سعيد بتقديمه الى القراء يُلقى على تاريخ الاسلام فى العصر العباسى الأول نوراً رائعاً وضاء. قويا هو أشبه شيء بنور الضحى.

فالكتاب «ضحى الاسلام» لأنه يدرس تاريخ الحياة العقلية للمسلمين فى القرن الثانى للهجرة، وهو «ضحى الاسلام» لأنه قد جلى هذه الحياة وأظهرها للناس كأوضح ما يمكن أن تكون، وكأجمل وأبهى ما يمكن أن تكون، ولست أدرى أيهما أهنيء بهذا الفوز «أحمد أمين» لأنه قد جد وألح ومضى فى الجد والالحاح، حتى انتهى الى هذا التوفيق، أم الجامعة المصرية لأنها قد اهتدت الى «أحمد أمين» ووكلت اليه ما وكلت من أنواع الدرس وفنون البحث، ولعل الخير كل الخير فى أن أصرف هذه التهنئة عن «أحمد أمين» وعن الجامعة الى الذين يقرأون اللغة العربية، ويعنيهم أن يؤرخوا آدابها، ويتكشفوا ما اشتملت عليه من الكنوز التى كانت مجهولة الى الآن، هؤلاء أحق بالتهنئة لأنهم سيسيرون منذ اليوم الى أغراضهم فى طريق واضحة سهلة معبدة، يغمرها نور الضحى.

لن تكون حياة المسلمين منذ اليوم، كما كانت من قبل، غامضة مضطربة، يتحدث عنها مؤرخو الآداب بالتقريب لا بالتحقيق، ويقولون فيها بالظن لا باليقين. ذلك عصر قد انقضى، وألقى بينه وبين الذين سيؤرخون الآداب ستار صفيق. ألقاه «احمد أمين»، وأصبح الذين يقصدون الى تاريخ الأدب قادرين منذ اليوم على أن يحققوا ويستيقنوا، ويسيروا فى بحثهم على بصيرة وهدى.

ما أكثر ما كنا نضيق صدراً بهذه الرموز الغامضة التى كان يلجأ اليها مؤرخو الآداب حين كانوا يذكرون تطور الحياة الاسلامية — أيام بنى العباس — بفضل الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأمم. وبفضل اتصال العقل العربى بالعقول الأجنبية، وبفضل الترجمة والمترجمين؛ والتأليف والمؤلفين. كانت هذه الألفاظ كلها رموزاً إلى الآن تدل على أشياء كثيرة، ولكنها لا تدل على شيء. تصور أمام الباحثين صوراً مختلطة مضطربة لا تحصى ولا تستقر، فهى ذاهبة أبداً، جائية أبداً، غامضة أبداً. نسعى اليها، ولا نظفر بها. أو يصرفنا عنها الكسل العقلى؛ الذى هو آفة حياتنا الأدبية فى هذا العصر.

أما الآن فقد ضبطت هذه الصور أحسن ضبط. وجليت أحسن تجلية. وأصبحنا إذا ذكرنا تطور الأمة العربية أو الأمم الاسلامية فى القرن الثانى للهجرة نعرف بل نحس حقيقة هذا التطور ومصدره، والآماد التى انتهى اليها، وأصبحنا إذا ذكرنا الحياة الاجتماعية للمسلمين فى هذا العصر لا نقول كلاما مبهماً، وإنما نقول كلاماً يدل على ما يراد به أحسن دلالة وأجلاها: يدل على طبيعة هذه الحياة وما تقوم عليه من اتصال بين الأفراد والجماعات، على اختلاف الأجناس والبيئات والأمزجة، يدل على طبيعة الزواج الذى كان يكون بين هؤلاء الناس فيخلط دماءهم خلطاً، أو قل يمزجها مزجا. يدل على طبيعة الرق الذى محا الشخصيات الفردية والاجتماعية لكثير من الأفراد والأمم، وصهرها كلها فى مرجل واحد هو الدولة الاسلامية، فكون منها شخصية جديدة كل الجدة، طريفة كل الطرافة، هى شخصية الأمة الاسلامية.

نعم، ويدل على هذه الطبقات التى كان يتألف منها الجسم الاجتماعى للامة الاسلامية، والتى كانت تقسم فيما بينها الأعمال الكثيرة المختلفة، التى يحتاج اليها هذا الجسم لا ليحيا فحسب، بل ليرفه هذه الحياة ويرقيها، ويأخذ فيها بأعظم حظ ممكن من الترف المادى والعقلى والشعورى جميعاً.

واذا ذكرنا الثقافة اليونانية، فلن نفهم منها منذ اليوم هذا المعنى المبهم الذى نرمز اليه بالفلسفة أحياناً، ولكنا سنعرف بالضبط مقدار ما أخذ العرب عن اليونان، وكيف أخذوه، ومن أين أخذوه، وكيف أساغوه أولا، ثم تمثلوه بعد ذلك؟ وقل مثل هذا فى الثقافة الهندية والفارسية، أستغفر الله بل خيراً من هذا. قل أكثر جداً من هذا، فما أعلم أن باحثاً عن تاريخ الأدب العربى وفق إلى تحقيق الصلة بين العرب والهند، أو بين العرب والفرس إلى مثل ما وفق اليه «احمد أمين».

وهو — بعد هذا كله — أول من بسط هذا فى اللغة العربية بسطاً يطمئن اليه الباحث الذى يسلك إلى بحثه طريق الجد والصدق، لا طريق العبث والتضليل.

واذا ذكرنا الثقافة المسيحية والثقافة اليهودية، فلن نفهم منهما منذ اليوم ما كنا نفهمه من قبل، من أن اتصال المسلمين باليهود والنصارى قد أحدث بين أولئك وهؤلاء ضروباً من التأثير العقلى العام.

ولكنا سنعرف طبيعة هذا التأثير ومقداره ومصدره، ثم

نضع أيدينا على مظاهر هذه الحياة الجديدة، فيما أنتج المسلمون من أدب وعلم وفن.

أستطيع أن أقول إن «احمد امين» حينما انتدب لتأليف هذا الكتاب قد اتخذ لأمة المحارب، ووضع أمام عينيه غرضاً أقسم ليبلغنه، أو ليعذلن عن إظهار الكتاب. وهذا الغرض هو تخليص الحياة العقلية الاسلامية في القرن الثاني من الغموض والابهام، وما زال هذا الغموض والابهام حتى أجلاهما عن موقفها، وانتزع منهما حياة المسلمين العقلية إلى منتصف القرن الثالث للهجرة. وكان يزورني كل أسبوع ومعه طائفة جميلة رائعة من الغنائم التي كان يكسبها في هذه الحرب الشاقة المتصلة، فأقاسمه سعادته بالظفر، واغتباطه بالفوز.

ولست أحب أن تقدر أني أعمد في هذا الكلام إلى ضروب المجاز وألوان التمثيل لأزين القول وأنمقه، ولكني أحب أن تستيقن أني إنما أقول الحق خالصاً من كل زينة، بريئاً من كل تنميق. فقد كان تأليف هذا الكتاب حرباً عنيفة طويلة مملة بين المؤلف وبين الغموض والابهام. وكان المؤلف كلما تقدم خطوة وقف ينظم انتصاره، ويصوغ ثمراته هذه الصيغة الجميلة التي سنراها في فصول هذا الكتاب ويذهب في الوقت نفسه لمعجمة أخرى يكسب بها موقعة أخرى، وينتصر بها انتصاراً جديداً.

ومع أن المؤلف قد أنفق جهداً قوياً في أن يجنبك مشاركته فيما كان يحتمل من عناء، ويلقى من مشقة، ويذوق من مرارة الصبر والمصابرة، ومطاولة المسائل المعضلة التي كانت تعرض له. فأنت واجد أثر هذا كله في فصول الكتاب، حين ترى المؤلف يسير في أناة تشبه البطء، ويعرض عليك جزئيات ضئيلة، تشبه أن تكون إغراقاً في التفصيل، وتقليداً للجاحظ في حب الاستطراد، ولكن اثبت لهذا البطء، واصبر لهذا التفصيل، وامض مع الكاتب في رفق وأناة فسترى أن نتيجة هذا الثبات والصبر والرفق أقوم جداً مما كنت تظن، وأنفس جداً مما كنت تنتظر، وأن الكاتب لم يتورط فيما تورطاً، وإنما قصد اليها قصداً، وتعمدها تعمداً؛ لأنه لم يكن يستطيع ان يعدل عنها حتى يضحي بالأمانة العلمية، والتحقيق الذي يفرضه البحث الحديث فرضاً على العلماء.

ولا تخف من هذا البطء، ولا تشفق من هذه المطاولة، فلن يعترضك ملل، ولن يقل من حدك سأم، ولن تضيق بالكتاب لحظة، فقد عرف الكاتب كيف يهون عليك طول الطريق إلى غايتك، وكيف يبث أمامك في هذه الطريق من الزهر ما يستهوي عينك، وكيف ينثر حولك في هذه الطريق من الأصداء الحلوة ما يخلب أذنك. وأنا زعيم بأنك ستحتاج إلى أن تعيد قراءة بعض الصحف وبعض الفصول، وسترى أن الكاتب على ابطائه وأناته مسرع مسرف في السرعة بعض الأحيان.

أشهد لقد وفق «أحمد أمين» في هذا الكتاب الى الاجادة العلمية والفنية معاً: استكشف الحياة العقلية الاسلامية استكشافاً لم يُسبَق اليه، ثم عرضها عرضاً هو أبعد شيء عن جفاء العلم وجفوته، وأدنى شيء الى جمال الفن وعذوبته.

فلينعم القراء بفصول هذا الكتاب، ولينعم المؤلف بما ينعم به الظافر حين ينتهي الى فوز لا تشوبه شائبة. ولكن هذه الحياة الجادة الخصبة المنتجة - في تواضع ولين جانب - التي يحياها «أحمد أمين» درساً نافعاً، ومثلاً صالحاً للذين يريدون أن يحيوا في مصر حياة العلماء.

طه حسين

المنهل الصافي

لأبي المحاسن بن تغري بردي

للاستاذ عبد الله عنان

من آثارنا التاريخية النفيسة كتاب «المنهل الصافي، والمستوفى بعد الوافي»، تأليف أبي المحاسن بن تغري بردي المؤرخ المصري الكبير المتوفى سنة ٨٧٤ هـ (١٤٦٩ م) وهو معجم ضخم للتراجم يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة، وتوجد منه نسختان خطيتان بدار الكتب المصرية. وفيه يترجم المؤلف أعلام الاسلام منذ أوائل الدولة التركية ويبدأ بالمعز أيبك التركماني زوج شجرة الدر وملك مصر (٦٤٨ — ٥٥ هـ) أعني منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي إلى منتصف القرن الخامس عشر، ويفيض بوجه خاص في سير أعلام مصر والشام من ملوك وساسة وجند وعلماء وأدباء، ويترجم أيضاً بعض ملوك النصرانية وأمرائها في هذه العصور، مرتباً ذلك كله على حروف المعجم. وقد جعل أبو المحاسن مؤلفه تكملة أو ذيلاً لمعجم الصفدي الشهير «الوافي». ولهذا الأثر

قيمة تاريخية خاصة ، لأن مؤلفه وهو من أمراء البلاط القاهري في القرن التاسع الهجري لم يتأثر في وضعه بمؤثرات أو أهواء خاصة، ولا سيما فيما يتعلق بترجمة معاصريه، حسبما يشير إليه هو في مقدمته، إذ يقول إنه وضع كتابه غير مستدع إلى ذلك من أحد من أعيان الزمان، ولا مطالب به من الأصدقاء والإخوان، ولا لتأليفه وترصيعه من أمير ولا سلطان». والمعنى الذي يقصده المؤلف بهذه الإشارة ظاهر؛ فقد كانت معظم التراجم في عصره توضع بوحي معين أو تحقيقاً لشهوات الخصومات السياسية والأدبية، التي جعلت من كتاب القرن التاسع ومؤرخيه أحزاباً أدبية متنافرة متخاصمة. ولكن أبا المحاسن يقدم لقارئه سير معاصريه والقريبين من عصره في صورة أكثر استقلالاً وحرية في التقدير والحكم.

هذا الأثر المصري النفيس ما زال مخطوطاً لم ينشر، كمعظم آثارنا الأدبية. ولكن المستشرق المعروف الأستاذ (فيت) مدير دار الآثار العربية، أخرج لنا منذ عهد قريب بالفرنسية مجلداً ضخماً عن محتويات «المنهل الصافي»، وسماه بنفس الاسم، ونشر ضمن مجموعة المجمع العلمي المصري. وكان ضمن مجلدات ثلاثة من وضعه قدمها أخيراً إلى جلالة الملك. والواقع أن كتاب «سيوفيت» هذا لا يمثل كتاب «المنهل الصافي»، لا في كثير ولا قليل من محتوياته. فهو على رغم كونه يقع في ٤٨٠ صفحة كبيرة، ليس أكثر من فهرس الكتاب الأصلي، يمهد له «سيوفيت» بمقدمة صغيرة يصف فيها الكتاب ومحتوياته ويحصي عدد التراجم التي يتضمنها (وعددها ٢٨٢٢ ترجمة) حسب صفات أصحابها من أمراء وقادة رياسة وتجار وأدباء وعلماء... الخ، ثم يكتفي في كل ترجمة بذكر اسم صاحبها وتاريخ مولده ووفاته ورقم الورقة التي يشغلها من المخطوط الأصلي؛ ويذكر المراجع الأخرى التي تشير إلى هذه الترجمة، وأخصها كتاب النجوم الزاهرة لنفس المؤلف (أبي المحاسن) وخطط المقريزي، وابن حجر، والسخاوي... الخ، ثم يذيل ذلك بفهرس أبجدي عام.

وهذا مجهود له قيمته من الوجهة العلمية بلا ريب. ولكننا نلاحظ أن الفائدة التي تترتب عليه بالنسبة لكتاب المنهل الصافي ليست كبيرة. فهو كما قدمنا فهرس أو دليل فقط للبحث في الكتاب الأصلي. والتراجم التي يتضمنها الكتاب الأصلي مرتبة على حروف المعجم، ولم يكن عسيراً على الباحثين أن يستخرجوها منه. وليس مما يقدم البحث كثيراً أن يرشدنا «سيوفيت» إلى أرقام المجلدات والصحائف، وأن يحيلنا في التراجم إلى مراجع يعرفها كل مشتغل بالتاريخ المصري. وكان خيراً لو أن «سيوفيت» بذل هذا المجهود في نشر الكتاب نفسه أو جزء منه، لأن هذا الفهرس الضخم يقع في نحو الخمسمائة صفحة، أعني نحو نصف المخطوط الأصلي، وقد أتفق في إخراجه ما يكفي لإخراج مجلد ضخم على الأقل من المخطوط الأصلي. على أنا نرجو أن تتقدم لنشر هذا الأثر المصري النفيس لجنة التأليف والترجمة والنشر، إلى جانب كتاب «السلوك في دول الملوك»، الذي تشتغل الآن بطبعه فتسدي بذلك إلى التاريخ المصري وإلى البحث فيه خدمة جليلة.

لاتينيون وسكسونيون

(بقية المنشور على صفحة ٤٢)

مجلس مجلس القاضي وأصدر بين الثقافتين حكم الواثق المطمئن في أسطر ما أحسبها تتجاوز العشرة، ووجد طريقاً إلى أن يقارن في هذه الأسطر القليلة بين الإنجليز والفرنسيين وبين أناطول فرانس وبرناردشو. وأن يقول أن الفرنسيين قادوا العالم في القرن الثامن عشر وأن الإنجليز يقودون العالم الآن. أظن أن الأستاذ سلامة موسى يوافقني على أن هذه المسألة أعسر وأعظم خطراً من أن يقضي فيها بحرة قلم وبهذا الإيجاز الذي لا يمكن أن يوصف بأقل من أنه يدعو إلى الابتسام.

وأما الكتاب الآخر فهو الأستاذ محمد علي غريب. فقد كتب الأستاذ في البلاغ فصلاً أشهد أنه أضحكني وأضحكني ضحكاً فيه إعجاب كثير. فهو يسخر من العقاد ومني لأنا نتناقش في مسألة كهذه لا تصلح موضوعاً للمناقشة ولا تنتهي المناقشة فيها إلى نتيجة عملية. وله كل الحق في أن ينكر هذه المناقشة لولا أنه يخطئ حين يطلب إلى كل بحث أو مناقشة أن تكون لها نتيجة عملية. فقد تكون المناقشة خيراً في نفسها وقد يكون من القصور أو التقصير ألا يكتب الناس إلا ليحققوا غرضاً عملياً. وقد يكون إحقاق الحق في نفسه أهم غرض ينبغي أن يكتب من أجله الكتاب. وقد يكون الأستاذ مخطئاً أيضاً حين يزعم أنه ليس في مصر نقد أدبي مصري ويكفي أنه هو ينقد الأستاذ العقاد وينقدني. وقد يكون الأستاذ مخطئاً أيضاً حين يزعم أننا نجادل في الأدب الأجنبي ولا ننتج شيئاً. فأنا أظن أن الأستاذ العقاد قد أنتج شعراً ونثراً وأظن أني لم أنفق جاهلاً عيياً. وأنا أحب أن ينقدنا الناقدون بل أنا شديد الحرص على هذا النقد وقد أفتقر به أحياناً، ولكني أحب أيضاً أن يلقى هؤلاء الناقدون نصحاً لهم لقاء حسناً، لعل أحسن ما ننصح به لهم ألا يسرفوا على أنفسهم ولا على الناس.